مقدمة فى علوم اللغة

تأليف

الدكتور البدراوى زهران

أستاذ اللغويات بجامعة أسيوط

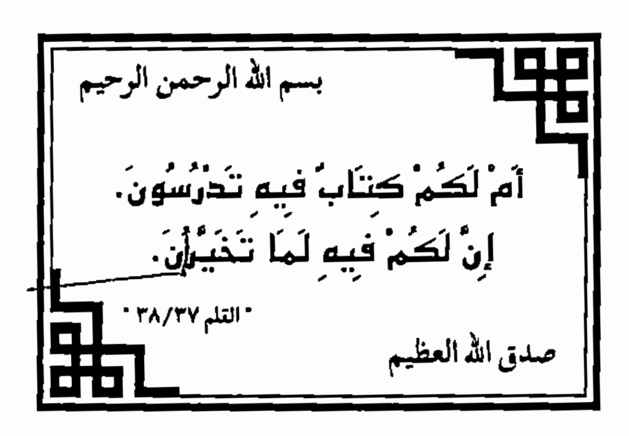
ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب قنا

الطبعة الخامسة

١٩٩٣



الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - ج.م.ع - القاهرة.



بسم الله الرحمن الرحيم

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ.

إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ.

" القلم ٣٧/٣٨ "

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

ذلك الكتاب الذى أقدمه اليوم «مقدمة فى علوم اللغة». تدور دراساته حول علم اللغة فى التراث وعند المحدثين.. مع التعرض لمناهج الدراسة عند كل منهم.. ونتبين فيه أن ما أخذه المحدثون على علماء العربية الأفذاذ السابقين يرجع أكثره إلى المنهج.. إما لعدم وضوح معالم محددة لمنهج عندهم.. أو لعدم إتباع منهج واحد.. وإما بسبب الخلط بين المناهج عندهم(١).. ومنهج البحث أمره خطير حقاً، وبمقدار تقدم المنهج تتوقف درجة الدراسة دقة وإتقاناً.. ولكن هذا لا يقلل من جهدهم.. ولا ينقص من قدرهم.. بفضل سبقهم.

واللغة التى تدور حولها مباحث علم اللغة وعلومها وتتخذها موضوعاً لدراساتها ليست لغة بعينها، وإنما هى اللغة التى تتمثل في كل الكلام الإنسانى، فالأصول والخصائص الجوهرية التى تجمع بين سائر اللغات في كل صورها هى موضوعات علم اللغة.. وليست لغة بعينها بل اللغة من حيث هى وظيفة إنسانية عامة.. وقد كانت علوم اللغة فى التراث تدور حول لغة بعينها هى اللغة العربية غير أن الأصول اللغوية التى وضعوها فى دراساتهم فى علم اللغة العربية تخدم الدراسات اللغوية عامة.. فدراسة لغة بعينها دراسة موضوعية متقنة على نحو ما صنع هؤلاء العلماء فى التراث تعد من أسس دراسة اللغة الإنسانية كلها.. بالإضافة إلى أن مثل هذه

---

(١) على سبيل التمثيل : إقرأ أصوات اللغة ص ٢ : منهجية البحث وفى ص ٥ يذكر أن الخلط فى الحقائق العلمية عندهم سببه الخلط بين المناهج. للدكتور/ عبدالرحمن أيوب، طبعة أولى، سنة ١٩٦٣م.

وفى أكثر من موضع من هذا الكتاب نوقشت قضايا مختلفة متعلقة بهذا الموضوع.

الدراسات ضرورية.. فهى تسبق الدراسة اللغوية العامة..كما أن نتائجها تخدم المباحث اللغوية العامة أيضاً وتخدم كل دراسة لغوية.. فضلا عن أنها تعطى أصول دراسات لعلم لغة خاص وعام معاً.. كما أن لهم نظريات فى علم اللغة تتفق مع أحدث ما انتهى إليه اللغويون المحدثون(١).. فجهودهم جديرة بأن تسلط عليها أضواء الدراسة والبحث فلهم فى هذا المجال فضل السبق وأحقية الريادة وعمق النظر..

أضف إلى ذلك أن علماء العربية لم ينالوا قدرهم عند تأريخ الأوربيين المحدثين لعلم اللغة وعلمائه، ومن الأمثلة على ذلك أن جورج مونين فى تأريخه لعلم اللغة لم يحظ منه علماء العربية القدماء إلا بأسطر قليلة(٢) هى على حد تعبير أحد الباحثين «تنم عن الجهل بالتراث أكثر مما تنم عن الإهمال»(٣).

وحتى ما كتبه روبنز Robins عنهم إشارات ضئيلة عن الخليل وسيبويه فى دراسة الأصوات والمعجم(٤) «بيد أن أوربيا آخر كانت له نظرة

---

(١) من بينها على سبيل التمثيل نظرية عبدالقاهر الجرجانى فى دراسة اللغة، إقرأ منها مثلا اتجاهه التجديدى فى الدراسات الصرفية ص١٢٧، أو الأسس التى بنى عليها منهجه التجديدى فى دراسة النحو من ص١٨٥، أو منهجه فى دراسة المعنى اللغوى من ص٢٣١ من كتاب عالم اللغة عبدالقاهر الجرجانى المفتن فى اللغة العربية ونحوها.

(٢) فى كتابه «علم اللغة» ترجمه إلى العربية د. بدر الدين القاسم، دمشق، مطبعة جامعة دمشق سنة ١٩٧٢، إقرأ ص١٠٦.

(٣) د. حلمى خليل إقرأ مقدمته لترجمة كتاب "What is Linguistics by David Crystal" وقد نقله إلى العربية تحت عنوان : «التعريف بعلم اللغة»، طبعة أولى سنة ١٩٧٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب (بالاسكندرية).

(٤) A Short History of Linguistics R.H. Robins Second Edition. A Longman Paperback P. 98, 129.

وإقرأ الفصل الرابع عن تاريخ اللغة فى العصور الوسطى، والخامس عنها فى الإنبعاث والنهضة وما بعدها.
See, Four; The Middle Ages, and Five : The Renaissance and after. P, 94-132.

أشمل وأكثر إنصافاً هو المستشرق الألمانى (أ. شاده) فقد وجدناه يتجه إلى الاعتراف بجهد العلماء العرب، وإسهامهم فى الحضارة الإنسانية، بما قدموا من دراسات لغوية لم يسبقوا إليها فى ميدان النحو والصرف والأصوات والمعاجم وقد خص بالدراسة جانب الأصوات فى بحث بعنوان (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا) انتهى فيه إلى أنه من الصعب إضافة أى تعديل على ما قدم سيبويه من تحديدات علمية لكل ما تعرض لدراسته من الظواهر الصوتية، اللهم فيما عدا موضوع الحنجرة التى لم يعرف العرب لها وظيفة صوتية فجعلوها جزءا من الخلق»(١).

وتلك الإشارة فى عمومها نستطيع أن نعرف حقيقة مبعثها ومداها من تعليق آخر لصاحبها الدكتور عبدالصبور شاهين فى هذا الموضوع أيضاً حيث يقول :

« وقد لوحظ على تأريخ الأوربيين للدراسات اللغوية أنهم يقتصرون فى سرده على جهودهم بدءاً من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر دون أن يعرج أحد منهم على ما قدم العلماء العرب من جهود فذة فى هذا الميدان(٢)» .

فكان من حق هؤلاء العلماء علينا أن نعرف بجهودهم فى مجالات الدراسات اللغوية المختلفة التى قاموا بها.. وقد جاء ذلك فى إيجاز فكل مجال من المجالات اللغوية التى عرضت لها هذه الدراسات يمكن أن تؤلف فيه كتب وتكتب من حوله مجلدات.

---

(١) دكتور عبدالصبور شاهين : فى علم اللغة العام، ص٢١ ويذكر فى هامش نفس الصفحة أنه توجد لديه نسخة خاصة من هذا البحث.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠، ٢١.

كما أن كثيرين من المحدثين أثاروا حول جهود هؤلاء العلماء غبار الشكوك ومن أسف أن بعض باحثينا تبعهم فى ذلك بل وروّجَ لما ذهب إليه بعض المستشرقين.. وقد نوقشت هذه الأمور فى حيدة بعيدة عن رد الفعل الانفعالى أو التعصب.. على نحو ما يتبين فى أكثر من موضع من هذا الكتاب.

وعالجت الدراسة فى هذا الكتاب موضوعين كبيرين :

أولهما : علوم اللغة ونشأتها فى التراث ومناهج الدراسة التى اتبعت معها

وعرضت لما أثير حول كتاب سيبويه من كونه مبتكراً أو منقولامن ثقافات أخرى.

وعرضت فى فصل آخر لمصادر المادة اللغوية ومنهج جمعها ودراستها وناقشت ما أثير بخصوص هذا الموضوع من قضايا، وما يجب نحو تحديد العصر الزمانى والبيئية المكانية للغة المدروسة.

كما عرضت فى فصل آخر لقضية اللغة والمنطق واستتبع ذلك عرضاً لأبعاد الدراسة فى بعض كتب التراث النحوية وجاء على سبيل التمثيل عرض لأبعاد فكر ومنهج العوامل المائة لعبدالقاهر الجرجانى بهدف الكشف عن أثر الإتجاه المنطقى فى الدرس النحوى التقليدى..

ثم عرض فصل آخر لمغالاة علماء العربية فى خصائص العربية - وربط بين وجهات النظر التقليدية والحديثة فى هذا الصدد.

كما عرض فى فصل غير ما سبق لمفاهيم ومصطلحات وردت فى التراث اللغوى مثل مصطلح علم اللغة. وفقه اللغة واللغة، وعلوم اللغة.. وتتبع ما جاء بشأنها فى التراث من حيث دلالة المصطلح ومفهومه -

والمباحث التى دارت فى مجاله وبصدده بأبعادها المختلفة، وأوسع القول بعض الشئ فيما يتعلق بمباحث الثروة اللفظية وفقه اللغة ودراسة المفردات اللغوية والاتجاهات المتعددة فيها ودراسة المعجم ومسارات تلك الدراسة فى التراث.

كما عرض فصل آخر لعلوم البلاغة التقليدية فى التراث وتتبع مساراتها اللغوية حيث نشأت وتمت مباحث لغوية وهى بمفهومنا لها اليوم تُفَرِّع وفق المباحث اللغوية.. كما عرض أيضاً لمجالاتها وموضوعاتها المختلفة. وأشار إلى مناهج دراستها..

أما القسم الثانى من الدراسة فى هذا الكتاب فقد عالج علوم اللغة لدى المحدثين.. والمراحل التى اجتازتها.

وعرض فصل آخر منه لمجالات هذه العلوم وموضوعاتها المختلفة وأشار إلى مناهج الدراسة اللغوية الحديثة.

وجاء كل ذلك فى إنجاز القصد من ورائه التقديم لهذا العلم والتعريف به فى التراث ولدى المحدثين.. على أمل أن التفصيلات سوف تتكفل بها دراسات مستقبلة بعون الله.. والله وحده المسئول أن يهيئ السبل فهو من وراء القصد نعم المولى ونعم الهادى للرشاد.

دكتور البدراوى عبد الوهاب زهران

الدقى فى رمضان المكرم ١٤٠٠هـ/يوليو ١٩٨٠م

الفصل الأول

القرآن مفجر علوم اللغة فى التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

أم لكم كتاب فيه تدرسون.

إن لكم فيه لما تخيرون. (١)

صدق الله العظيم

الكتب المقدسة تبذل حولها طاقات الدارسين وبفضلها تستخرج مكنونات العقول وتتعدد المباحث، وتتفجر العلوم وتتنوع وعلى سبيل المثال كان كتاب الفيدا (Rig Vida)(٢) المقدس عند الهنود سبباً فى سبقهم فى الدراسات اللغوية بصفة عامة، فقد شغفهم بتحليل لغتهم السنسكريتية وصورها فصنفوا فى الدراسات الصوتية مباحث جليلة، وخلفوا نحواً وصفياً للغة السنسكريتية بالغ الدقة(٣)، ويعد بانينى(٤) من خيرة النحاة الوصفيين القدماء.

---

(١) سورة القلم، الآيتان ٣٧، ٣٨.

(٢) طقوس دينية عند الهنود يطلق عليها إسم (Rig Vida) أنظر : Bloomfielb language P.10.

(٣) السابق، ص١١.

(٤) بانينى "Pànini" نحوى هندى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد (حوالى ٣٥٠ إلى ٢٥٠ ق.م) وقد وصف القوانين الصوتية والنحوية للغة السنسكريتية وصفاً على درجة كبيرة من الدقة.

Bloomfield : Language P 11.

وقد قام اللغوى الهندى سيد شوارفارما بدراسة للآراء الصوتية لنحاة الهند القدماء، نشرت بالإنجليزية سنة ١٩٢٩ تحت عنوان : دراسات نقدية فى الملاحظات الصوتية للنحاة الهنود.

Siddheshwar Varma : Critical Studies in the Phonetic observations of the Indian. Grammarians, the Royal Asiatic Society, London 1929 (Printed by Billing and Sons Ltd. Guild ford and Easher.

=

كما كان ذلك عندهم أيضاً سبباً فيما أثر عنهم من خط دقيق (الدافنجارى) Davenagri Seript .

= وقد نشر هويتنى "D.whitney" أعمالا ترجمها عن الدراسات اللغوية والصوتية من كتابات الهنود. ونشرها فى مجلة الجمعية الأمريكية للدراسات الشرقية.

وباللغة العربية عن أثر الهنود فى الدراسات اللغوية إقرأ :

- البحث اللغوى عند الهنود وأثره على اللغويين العرب تأليف الدكتور أحمد مختار عمر.

- وإقرأ علم اللغة مقدمة للقارئ العربى، دكتور محمود السعران، من ص٣٤٥.

- وبدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب، د. السيد محمد يوسف الهندى، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مايو ١٩٥٠.

- وعلاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى، السابق عدد مايو ١٩٥٣.

وأنظر : First Lesaons in Sanskrit Grammar, J.R Ballantyne 1826.

Grammatical Method in Panini, B. Shefts, New York 1961.

القرآن الكريم مفجر علوم القرآن

وقد كان القرآن الكريم صاحب الفضل فى نشأة الدراسات اللغوية فى التراث الإسلامى.

فالقرآن نص لغوى اقتضت العناية به الخوض فى دراسات لغوية وأدبية تطورت بمرور الزمن إلى ما نراها عليه الآن.(١)

فقد خاف علماء المسلمين على القرآن الكريم من أن يصيبه ما أصاب الألسنة من لحن أو تحريف بعد أن تعددت ألسنة الداخلين فى الإسلام واختلطت وتفشت ظواهر اللحن.(٢)

---

(١) أنظر : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب تأليف أوليرى. وإقرأ مقدمة المترجم د. تمام حسان.

ومن المعلوم بداهة أن النصوص القرآنية اشتملت على قوانين تشريع ونظم حكم وسياسة ووعد ووعيد وأخبار أمم سلفت وأحاديث عن الغيب والعالم العلوى، ومبادئ عدل وحق وهداية. وحول كل تلك المعانى اتجهت طوائف من العلماء إلى البحث والدرس فى القرآن. ونمت هذه المباحث وصارت مباحث كل طائفة من هؤلاء علوماً لها استقلالها.

(٢) مر الشعبى يوماً بناس يتدارسون النحو فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده. أنظر : البيان والتبيين للجاحظ، ج٢، ص٦٤.

وقد ذكر الجاحظ فى كتابه هذا أمثلة متنوعة للحن يتبين منها أن اللحن كان قد تفشى على كل المستويات اللغوية. إقرأ أمثلة للحن وأنواعاً من اللكنات فى صفحات ٨٦، ٨٧، ٨٨ السابق.

وقد علل الجاحظ لهذه الظواهر تعليلا مبعثه الملاحظة اللغوية من واقع مجتمعه والتفاعل اللغوى فيه. ومما قاله : «واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها». وفى هذا القول ما يدفع القضية لأن تثار على مستوى مباحث الصراع اللغوى.

ويرى الدكتور عبده الراجحى : أن محاولة فهم النص القرآنى هى التى تفسر نشأة النحو وبخاصة على أول صورة وصل إلينا، لأن محاولة الفهم تجعل الباحث «يقصد إلى البحث عن كل ما يفيد فى استنطاق النص، وفى معرفة ما يؤديه التركيب القرآنى على وجه الخصوص باعتباره أعلى ما فى العربية من بيان، ومن هناك كان هذا النشاط النحوى القديم على الوجه الذى نعرفه من كثرة علمائه وتفرع مذاهبه ووفرة مادته».

(النحو العربى والدرس الحديث بحث فى المنهج، ص١١).

فقد كان الناطقون بالعربية من الأمم الأخرى يرتضخون لكناتهم فى نطقهم، كما كانت لعاداتهم النطقية الأصلية سلطانها على ألسنتهم.

أضف إلى ذلك أن جهود علماء المسلمين توزعت حول القرآن الكريم وفهمه.(١)

واتجهت كل جماعة وجهة فى تفقهه فباتت طائفة عاكفة على تصحيح متنه فى عناية فائقة وإتقان بارع فى الأخذ والأداء والتلقين والتلقى.(٢)

وبرع من هؤلاء فى الدراسات اللغوية جم غفير بفضلهم نشأ علم العربية.(٣)

---

(١) إقرأ ما كتبه د. فيليب حتى وبخاصة من ص٣ من كتابه.
Ph. Hitti, The Arabs; A Short History.

(٢) من يتدبر القراءات القرآنية يجد أن المغايرة قد تكون :

أ) إما تغير فى الحركات.

ب) أو تغير فى الأبنية والصيغة.

جـ) أو تغير فى الأصوات.

د) أو تغير فى الألفاظ.

وكلها كما ترى من مباحث الدراسات اللغوية، ارجع فى ذلك مثلا :

ـ لكتاب السبعة في القراءات لإبن مجاهد.

ـ وكتاب مختصر فى شواذ القراءات من كتاب البديع لإبن خالويه.

ـ كتاب الحجة فى القراءات السبع للإمام إبن خالويه أيضاً.. وغير ذلك كثير.

(٣) سميت الدراسات اللغوية التى اهتدى إليها العلماء فى بادئ أمرهم بعلم العربية : قال إبن سلام فى الطبقات :

«وكان أول من استن العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبوالأسود الدؤلى».

وقال ابن قتيبة في المعارف «أول من وضع العربية أبو الأسود».

وقال إبن حجر العسقلانى فى الإصابة «أول من ضبط المصحف ووضع العربية أبو الأسود».

وروى ابن لهيعة عن أبى النضر قال : «كان عبدالرحمن بن هرمز أول من وضع العربية».

وعلى أيدى طبقاتهم اكتمل، ومن بينهم على سبيل التمثيل :

* أبو الأسود الدؤلى «ظالم بن عمر، من الدُئِل – بطن من كنانة، ورد البصرة من عهد عمر بن الخطاب، وجاء عنه أنه كان أعلم عصره بكلام العرب، وهو أول من ضبط المصحف بالشكل، وقد أخذ عنه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وغيرهما، (وتوفى سنة ٦٩هـ)(١).

* وزِر بن حبيش الأسدى الكوفى (المتوفى سنة ٨٢هـ)(٢).

فقد أخذ القراءة عن عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعبدالله بن مسعود وأخذها عنه عاصم بن أبى النجود، وسليمان الأعمش. ويحيى بن وثاب، وغيرهم(٣).

وكان عبدالله بن مسعود يسأله عن اللغة – وقال عنه عاصم بن أبى النجود «ما رأيت أقرأ من زِر». وقد كان عاصم بن أبى النجود من شيوخ الإقراء، وروى عنه أعلام القراءة واللغة حروف من القرآن : كأبى عمرو بن

---

(١) أنظر فى ترجمته طبقات النحويين واللغويين للزبيدى، ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى.
وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لعبدالرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى.
ونزهة الألبا ء فى طبقات الأدبا ء لإبن الأنبارى.
وأنباه الرواة على أنابه النحاة للوزير جمال الدين على بن يوسف القفطى.
ومعجم الأدبا ء لياقوت.
وخزانة الأدب الشاهد الأربعين.
وأمالى المرتضى المجلس العشرين.
ودائرة المعارف الإسلامية.

(٢) جاء فى القاموس المحيط، ج٢، ص٣٨ زر بن حبيش تابعى بكسر الزاى، وذو الذرين سفيان بن ملجم أو ملحج القروى، وإنه لزر من أزرارها أى حسن الرعية لها، وزر الدين قوامه.

(٣) إقرأ غاية النهاية لإبن الجزرى، ج١، ص٤١٣.

العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدى - وحمزة بن حبيب الزيات(١).

ونصر بن عاصم أحد القراء والفصحاء وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء.

رُوِى عن عمرو بن دينار أنه قال : «اجتمعت أنا والزهرى ونصر بن عاصم فتكلم نصر فقال الزهرى : «إنه ليفلق بالعربية تفليقاً»(٢).

* وأما أبو عمرو بن العلاء، فهو علم من الأعلام فى القرآن واللغة والنحو، أخذ عنه يونس بن حبيب. والرواية عنه فى القراءة والنحو واللغة كثيرة.(٣)

* وعن الكسائى : فقد جاء فى النشر لإبن الجزرى عن ابن الأنبارى أن على بن حمزة الكسائى، كان أوحد الناس فى القرآن وأن الناس كانوا يكثرون عليه فيجمعهم فى مجلس ويجلس على الكرسى ويتلو القرآن وهم يسمعون ويضبطون عنه»(٤).

فقد كانت القراءة علمه وصناعته، ولم يكن أضبط ولا أقوم بها منه(٥).

قال عنه خلف بن هشام : كنت أحضر قراءته والناس ينقطون مصاحفهم على قراءته.

---

(١) السابق.

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافى، ص١٦.

(٣) السابق، ص٢٢.

(٤) النشر فى القراءات العشر لإبن الجزرى، ج١، ص١٧٣.

(٥) غاية النهاية لإبن الجزرى، ج١، ص٥٣٨.

فمن ملاحظة القراءة والنقط ومن الربط بين القراءة وحركات آخر الكلم اهتدوا إلى علل هذه الحركات - اهتدى إلى ذلك طائفة من العلماء وهم بصدد المحافظة على متن الكتاب الكريم يتقنون ترتيله ومخارج حروفه ويعتنون بضبطه فهداهم هذا إلى علوم كان من أولها علم العربية(١).

وجعلوا هذه العلوم فروعاً وأموراً وأنواعاً وقد ذكر السيوطى فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن خمسين نوعاً نشير إلى بعضها(٢) :

* **الأول** منها : مواطن النزول، وأوقاته، ووقائعه وفى ذلك إثنا عشر.

* **والأمر الثانى** : السند وهو ستة أنواع...

* **والأمر الثالث** : وهو الأداء وينقسم إلى ستة أنواع أيضاً وهى :

١ - الابتداء. ٢ - الوقف

٣ - الإمالة. ٤ - المـد.

٥ - تخفيف الهمز. ٦ - الإدغام.

وتلك من مباحث الدراسات الصوتية كما هو واضح.

* **والأمر الرابع** : وهو الألفاظ، وينقسم إلى سبعة أنواع :

١ - الغريب. ٢ - المعرب. ٣ - المجاز.

٤ - المشترك. ٥ - المترادف. ٦ - الاستعارة.

٧ - التشبيه.

---

(٦) أى النحو أو الإعراب على خلاف فى أول من وضعه.

(١) الإتقان فى علوم القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطى، ص ٤-٥.

ومن هذه ما هو من مباحث علم المعنى (Semantics) ومنها ما هو من دراسة المعجم (Lexicon). ومنها ما يتصل بدراسة تاريخ الكلمات أو الاشتقاق (Etymology) .

* **والأمر الخامس** : يتصل بالمعانى المتعلقة بالأحكام وهو أربعة عشر نوعاً.

* أما **الأمر السادس** : المعانى المتعلقة بالألفاظ وهو خمسة أنواع :

١ – الفصل. ٢ – الوصل. ٣ – الإيجاز.

٤ – الإطناب. ٥ – القصر.

ومن هذه ما يدخل ضمن مباحث علم التراكيب (Syntax) ومنها ما يدخل ضمن مباحث علم المعنى أو الدلالة.

وهكذا اهتدى العلماء وهم بصدد ترتيل القرآن الكريم والاعتناء بتلاوته إلى الخوض فى مباحث ودراسات تطورت فيما بعد وصارت علوماً مختلفة تخدم مجالات متنوعة فى ميادين البحث اللغوى. ومن أبرزها ما أطلق عليه إسم علم العربية وهو ما عرف فيما بعد بعلم النحو(١).

ولا يغيب عن بالنا ما عرف عن العرب من حس لغوى دقيق فى الإعراب ومن عناية شديدة به إلى الحد الذى عدوا فيه اللحن هجنة على الشريف، بل إنهم ظنوه ماحقا للأرزاق «دخل أعرابى السوق فسمعهم يلحنون فقال : سبحان الله!! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح»(٢).

---

(١) على أن يدخل ضمن مفهوم النحو الدراسات الصرفية والصوتية أى يصير مساوياً لما أطلقوا عليه إسم الغرماطيقى أو الجراماطيقا.

(٢) عيون الأخبار (كتاب العلم والبيان : الإعراب واللحن) ج٢، ص١٥٨، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص١٧. وجاء فى البيان والتبيين ص١١٣ قال أيوب السختيانى : تعلموا النحو فإنه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف.

وكان الرجل منهم إذا تكلم ولحن سقط من أعينهم. وجاء عن أبى الأسود الدؤلى قوله : «إنى لأجد للحن غمرا كغمر اللحن» (أى ريحانتنا). كل ذلك كان وراء ضبط أواخر الكلمات بنقط يكتبونها عند آخر الكلمات تدل على حركاتها(١) أى إعراب القرآن الكريم، وكانت تلك أولى الخطوات فى تلك الطريق الطويلة.

---

(١) مرت هذه العملية بمراحل بدأت كما تقول الروايات بأن زيادا سأل أبا الأسود أن يضبط المصحف فأبى ثم عاد فقبل وقال : ابغى كاتباً لقناً يفعل ما أقول. فتخير له كتاباً وجعل يختبر الكتاب حتى رضى من رضيه منهم فقال له : خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فإذا رأيتنى فتحت شفتى بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدى الحرف فإذا تبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، وأخذ يقرأ القرآن بالتأنى والكاتب يضع النقط وكلما أتم الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله، فأخذ الناس هذه الطريقة عنه وشكلوا بها الحروف.. أما الحرف الساكن فكانوا لا يضعون عليه شيئاً وإذا كان الحرف منوناً يضعون نقطتين فوقه أو أسفله أو عن شماله واحدة دلالة على الحركة والأخرى دلالة على التنوين، فإذا كان بعد التنوين حرف من أحرف الحلق وضعوهما إحداهما فوق الأخرى علامة على أن النون مدغمة أو خفية.

(أنظر : تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية لحفنى ناصف، ص ٦٧-٦٨).

وسموا هذا نقط المصحف، ثم سموا النقط شكلا لأنها تدل على شكل الحرف وصورته، فوضع النقط تصر الحرف على شكل وهذا هو السبب فى تسمية هذه العلامات شكلا. وتفنن الناس بعد أبى الأسود فى شكل النقط فمنهم من جعلها مربعة ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط. واخترع أهل المدينة للحرف المشدد علامة على شكل قوس طرفاه لأعلى.. (المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩).

وهذا غير الإعجام. والإعجام تمييز الحروف المتشابهة بوضع نقط لمنع اللبس، والمشهور أن اختراع الإعجام كان فى زمن عبدالملك بن مروان، والتحقيق أنه كان قبل الإسلام كما يذهب إلي ذلك الأستاذ حفنى ناصف (إقرأ السابق من ص ٧٠ إلى ص ٧٥).

ويقول الأستاذ إبراهيم مصطفى : «ولما لم يكن هذا الضبط كافياً لحسن التلاوة وعاصماً من الخطأ فى القرآن احتيج إلى تمييز آخر قام به «نصر بن عاصم الليثى» أحد تلاميذ أبى الأسود بطلب من الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق. وكان عمل نصر هو التمييز بين الحروف المتشابهة فى الرسم باختصاص كل واحد منها بنوع من النقط كالباء والتاء والثاء.. ومن هنا غير ترتيب الحروف الأبجدية إلى ترتيبها الهجائى المتعارف وهو (أ. ب. ت. ث ....) وسمى نصر نقطه إعجاماً كما سمى نقط أبى الأسود بالشكل الذى وضعه إعراباً.

ثم جاء الخليل بن أحمد واستبقي نقط نصر وألغى نقط أبى الأسود وأحل محله الشكل المعروف الآن، =

وكان عمل أبى الأسود الدؤلى وغيره من النحاة فى بادئ الأمر أن يعربوا المصحف أى يضبطوا أواخر كلماته بالنقط، ويرسلون المصاحف فى الناس يهتدون فى القراءة بها وتكون لهم إماماً.

وما أن اهتدوا إلى قواعد الإعراب حتى كانوا قد أحاطوا بها، ودونوها وجمعها سيبويه فى كتابه الذى لم يزل من بعده إمام النحاة(١).

وإن اختلف بعض الباحثين حول أصالة كتاب سيبويه.

أمبتكر هو أم منقول ؟ فتلك قضية كبرى تفرد لها الصفحات القادمة.

= وجعله حروفاً مصغرة أو أبعاض حروف كما سموه؛ قالوا : وقد اتخذ ذلك عن اليونانية وكان قد قرأها. (ص٧٣، مجلة كلية الآداب السابق).

وإقرأ : المقنع فى رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط تأليف الإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدالى المتوفى عام ٤٤٤هـ، تحقيق محمد الصادق قمحاوى، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(١) إقرأ صفحات ٩، ١٠، ١١ من إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى.

أصالة كتاب سيبويه

اختلف بعض الباحثين المحدثين حول أصالة كتاب سيبويه. أمبتكر هو أم منقول ؟

وحجتهم فى ذلك التشكك أنه لا يعقل أن يجئ الكتاب الأول فى مادة ما ناضجا تاماً، وأن يكون كل ما يجئ بعده عالة عليه، ومستفيداً منه وشارحاً أو ملخصاً له(١).

كما يدفعهم إلى ذلك التشكك وجود تشابه بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب المخارج وتصنيف علماء العربية حيث رتب الهنود الأصوات ابتداء من أقصاها وهو الترتيب الذى اتبعه علماء العربية.

أضف إلى ذلك أن الدراسات الصوتية ظهرت فى الثقافة العربية دفعة واحدة كما أن البحور الشعرية التى وضعها الخليل لها شبيه عند الهنود(٢) .... إلخ.

---

(١) يذهب إلى هذا الدكتور عبدالرحمن أيوب فى مناقشاته، وفى مقال له، أنظر حوليات دار العلوم، العدد الأول، سنة ١٩٦٩، والمقال تحت عنوان :

"Arabic Linguistic thought; It's Sources and chracteristics. A.R. Ayoub M.A. Ph, d (London) Prof. of Linguistics.

كما يرى هذا الرأى الدكتور محمود السعران فى كتابه علم اللغة، غير أنه يقول، وليس لدينا دليل يقطع بأن العرب أخذوا عن الهنود إلا الاستنتاجات العقلية، أنظر : ص٧٦، ٧٧.

وفى دائرة المعارف الإسلامية مادة الخليل بن أحمد : «وكان الخليل أيضاً أول من صنف معجماً عربياً هو كتاب العين، والظاهر أنه رتبه على حروف الهجاء، عند نحاة السنسكريتيين...».

(٢) علم اللغة د. محمد السعران، ص٩٩.

ويذهب قريباً من هذا الدكتور شوقى ضيف حيث يقول : «وقد وضع الخليل معجماً للعربية بترتيب مخارج الحروف متأثراً بالهنود في ترتيب حروف لغتهم».

(الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، ص١٣٢)

=

ومما لاشك فيه أن علماء العربية استفادوا من ثقافات الأمم الأخرى، ولا يستطيع باحث متمعن أن ينكر أثر الثقافة الهندية وكذلك الثقافة اليونانية ومثلها الثقافة الفارسية فيما خلفه علماء العربية من تراث، ولكنها بعض المشابهات والتأثير الذى لا يطعن فى الأصالة فالحضارات عندما تتلاقى يحدث التأثير والتأثر ولكن لا على أن يوضع ذلك موضع الاستقصاء مما يوحى بالطعن وإلا فالجميع أمام الاستفادات سواء والدليل

= وإقرأ ما عرضه الدكتور أحمد مختار، عرض نقاط اتفاق فى البحث اللغوى بين العرب والهنود فى الدراسات الصوتية، وفى الدراسات النحوية والصرفية وفى المعجم وفى بحوث متنوعة فى فقه اللغة من ص ١٢٧، ١٣٦ من كتابه البحث اللغوى عند الهنود.

ويذهب الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن هذه القضية تتنازعها ثلاثة اتجاهات : إتجاه يقطع بالأخذ عن الثقافة الهندية، واتجاه يرفض واتجاه يقف بين بين ويأخذ هو بالاتجاه الوسط. (ص ١٣٨-١٦٠، السابق).

والرأى عندى أنه لا يوجد غير اتجاهين إثنين بدليل أن الرأى الوسط يذهب إلى وجود الأخذ ولكنه لا يملك عليه دليلا على نحو ما هو واضح من رأى الدكتور السعران ودائرة المعارف الإسلامية، بل ومن قول الدكتور مختار نفسه وبدليل نصه هو حيث يقول عن الرأى الذى يميل إليه : «هو ذلك الذى يرجح جانب الإيجاب على جانب السلب ويثبت تأثيراً هندياً من نوع ما على اللغويين العرب أو على الأقل يميل بدرجة كبيرة إلى احتمال وجود هذا التأثير».

وأقول إن الذى حدث هو نوع من تداعى المعانى وتواردها بين الثقافات ولم يحدث أخذ ولا نقل.

وقد تولى الدكتور أحمد مختار الرد على الرأى الذي تبناه الدكتور عبدالرحمن أيوب فى محاضراته فى علم اللغة التى ألقاها على طلبة الليسانس بكلية دار العلوم فى العام الدراسى ٦٧-٦٨م والتى يقول فيها ص٧ من الممكن أن نلخص مميزات الدراسات اللغوية الهندية فى أمور هى :

١ - العناية بدراسة الأصوات ومخارجها.

٢ - عدم الإهتمام بالنظريات والتقسيمات العقلية.

٣ - الاعتماد على أشكال الألفاظ فى تقسيمها إلى أنواع

وبالنظر إلى كتاب سيبويه - أول كتاب فى العربية - نجد أنه على العكس من الكتب النحوية المتأخرة قد تميز بهذه المميزات الثلاث نفسها ومن أجل هذا نفسر الاختلاف بين كتاب سيبويه والكتب المتأخرة، بأن سيبويه قد تأثر فى تبويب كتابه بالطريقة الهندية فى التأليف أما المتأخرون فقد تأثروا بالمنطق الإغريقى. (إقرأ من ص ١٥٤-١٦١).

=

على ذلك بالإضافة لما يراه أنوليتمان(١) وكارل بروكلمان(٢) أنني أرى أنه من المستبعد أن ينقل علماء المسلمين علماً بتمامه من ثقافة ما من تلك الثقافات أو أن يأخذوا مؤلفاً بجملته وتفصيله وخاصة مثل كتاب سيبويه وذلك لأمور منها :

= فقد تولى مناقشة هذه النقاط والرد عليها واحدة واحدة، وخلاصة الرد :

- أن الهنود لم تكن لديهم مدرسة نحوية واحدة وحتى إن كان الدكتور أيوب يقصد المدرسة الباتينية فليس هناك وجه شبه بين منهج هذه المدرسة ومنهج سيبويه فى الكتاب أو منهج أى نحوى عربى جاء بعد سيبويه حتى يومنا الحاضر.
- أن النحو العربى لم يتخلص من سلطان الفلسفة كما ظن الدكتور أيوب واعتبر ذلك فرقاً أساسياً بين الهنود واليونانيين، ووجد اتجاه بين الهنود لفلسفة النحو الهندى وصبغه بالصبغة العقلية ومرجعه فى ذلك مواطن كثيرة من أقوال "Chakravarti" فى كتابه "The Philosophy of Sanskrit Grammar"
- ثم يثبت أن كتاب سيبويه لا يخالف كتب المتأخرين من ناحية التأثر بالمنطق.

(وهذه حقيقة نتفق معه فيها وأكدتها أبحاثنا، أنظر : فصل اللغة والمنطق من هذا الكتاب).

(١) يقول أنوليتمان : اختلف الأوروباويون فى أصل هذا العلم فمنهم من قال : إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب وقال آخرون ليس كذلك، وإنما كما تنبت الشجرة فى أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الرأى الذى رؤى فى كتب العرب من زمن، ونحن نذهب فى هذه المسألة مذهباً وسطاً،وهو أنه أبدع العرب علم النحو فى الابتداء، وأنه لا يوجد فى كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، لكن كما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان فى بلاد العراق تعلموا أيضاً شيئاً من النحو.. وبرهان هذا أن تقسيمهم الكلمة مختلف، قال سيبويه : فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا تقسيم أصلى أما الفلسفة فينقسم فيها الكلام إلى اسم وفعل ورباط، وهذه الكلمات ترجمت من اليونانى إلى السريانى ومن السريانى إلى العربى، فسميت هكذا فى كتب الفلسفة لا فى كتب النحو. أما كلمات إسم وفعل وحرف، فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت».

(محاضرات أنوليتمان ضحى الإسلام، الطبعة الخامسة - مكتبة النهضة المصرية ٢، ٢٩٢، ٢٩٣).

(٢) ويرى كارل بروكلمان أنه لا يمكن إثبات التأثر الأجنبى على النحو العربى لا من القواعد اللاتينية ولا من الهندية ويرى أيضاً عدم وجود تأثير هندى فى علم الأصوات العربية، وإن وجدت بعض المشابهات العارضة إتفاقاً من طبيعة البحث.

أنظر : البحث اللغوى عند الهنود، ص١٤١ ومرجعه :

كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ٢-١٢٣، وهامش رقم ٥، ص ١٢٤

«أن علماء المسلمين توصلوا إلى القواعد النحوية أثناء قيامهم بالعمل القرآنى وأن القواعد التى انتهوا إليها نتيجة لاستقراءاتهم فى العربية وأنها خاصة بظواهر لغوية مطردة فيها استلفتت نظرهم وهى متصلة بالحركات الإعرابية وتلك خاصة من خصائص العربية إلى أبعد مدى والنحو جاء نتيجة تفكير فى ظواهر لغوية عمقوا النظر فيها وظل ينمو فكرة فكرة على أيدى الدارسين جيلا بعد جيل نتيجة طول النظر والمراجعة والتعمق فيما يعن لهم من ظواهر. وقد كان لعلماء كل عصر إضافات هامة.

وعلى سبيل المثال كان لعبدالقاهر الجرجانى إضافة جوهرية(١) لقب فى عصره بسببها «بالمفتن فى العربية ونحوها» وقد نحا بها تابعوه منحي مخالفاً لما أراد وأطلقوا عليها اسما محرفا فسموها علم المعانى، وقالوا إنه واضع أسس علم المعانى ولو سارت آراءه مثلما أراد لمعانى النحو لرأينا فى النحو العربى أبعاداً لم تعرفها الدراسات اللغوية على أيدى المحدثين إلا قريباً(٢).

وهذا يؤكد أن لهؤلاء العلماء فى هذا المجال أصالتهم الفكرية التى تبدعها عبقريتهم وأن لهم مساراتهم واتجاهاتهم العلمية وأنهم ليسوا مجرد قلة وإنما هو التأثير والتأثر أو الأخذ والعطاء(٣) الذى لا يطعن فى أصالة

---

(١) لعبدالقاهر إضافات فى الدراسات النحوية التقليدية، كما أن له اتجاهاً تحديدياً أنظر عالم اللغة عبدالقاهر الجرجانى من ص ١٤٩-٢٢٨.

(٢) إقرأ أبعاد تلك الأفكار فى المرجع السابق، ص ١٢٥-١٤٦ فى منهجه التجديدى فى الصرف، ومن ص ١٨٥ وما بعدها عن منهجه التجديدى فى النحو. وهل نستطيع أن نقول أن علماء اللغة فى الغرب نقلوا أفكارهم عن عبدالقاهر الجرجانى أو أخذوها عنه؟!، إنه العقل البشرى يبدع فى كل عصر ويأخذ ويعطى.

(٣) ومن ذلك على سبيل التمثيل ما يشير إليه الدكتور إبراهيم سلامة من أن الفصل السابع من الكتاب الثانى لخطابة أرسطو وعنوانه ملاءمة الأسلوب Sur La Convenance du Style ألصق بما يسميه =

ولا ينبغى تتبعه وإلا حق لنا أن نطعن فى أصالة اليونانية لاستفادتها من الفرعونية وفى أصالة الحضارة الغربية لاستفادتها من العربية وهذا ما لا يصح.

فالنحو هذا العمل الضخم لا يرد أمره لسيبويه وحده. ولا للخليل وحده وإنما هو من عمل الجماعات، وثمرة جهود كثير من الدارسين الذين تعاقبوا على هذه الدراسة منذ قيام أبى الأسود الدؤلى بوضع نقطة البدء وإن نسب الكثير من المباحث اللغوية البارعة للخليل(١)

أضف إلى ما سبق أنه لا يعقل أن يظل أمر علم مسروق خفياً لا يدركه أحد ممن نقل إليهم أو نقل عنهم. ومعلوم أن الباحثين لا تخفى عليهم خافية ولسيبويه والخليل من الحاسدين من كانوا يتمنون أن يكتشفوا ثغرة للتشهير بهما.

ولا ينبغى أن يغيب عن بالنا ما عرف عن الخليل من الزهد والورع(٢) وهو القائل : «إذا لم تكن طائفة العلماء أولياء الله فليس لله ولى(٣)، وقد قال ابن سلام عن سيبويه : «كان سيبويه النحوى غاية فى الخلق»(٤).

= علماء البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن العرب الفضل فى دقة المصطلحات التى وضعوها واختيار الشواهد من كلامهم.

وأضيف أن هذا الموضوع كان إنطلاقة من النحو العربى وفى النحو العربى فبذوره التى نماها عبدالقاهر من كتاب سيبويه، وقد لام عبدالقاهر النحاة لأنهم لم ينتهوا لما قاله سيبوه، كما أنه لم يعف سيبويه من اللوم.. ثم أعطاها أبعاداً تمت من بعده على أيدى العلماء فى مسارات تتفق وأبعاد ثقافة كل واحد منهم وعمق تفكيره، وفى هذا أصالة وتأثر معاً. وأخذ وإعطاء تفرضه طبيعة احتكاك العقول.

إقرأ موضوع ربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى حاله في عالم اللغة ص ٢٥٠.

(١) إقرأ : إحياء النحو، ص ١١.

(٢) إقرأ : نزهة الألباء، ص ٧٥.

(٣) السابق، ص ٥٨.

(٤) السابق، ص ٧٤.

غير أن الرؤية فى هذه القضية تتضح بصورة أجلى عندما نربط بين أطرافها ونجد أن القضية ظهرت على أيدى المستشرقين فى هذا العصر وهم الذين شككوا وهم الذين دافعوا وهم الذين قطعوا بوجود الأخذ والإخفاء. فبالإضافة لما سبق نجد أن بعض المستشرقين يرون أن عصر أبى الأسود لا يتواءم وهذه الاصطلاحات المرتبة التى بين أيدينا، وإنما هى وليدة عصر متأخر عنه تطور فيه العلم حتى صار مناسباً لهذه القواعد المرتبة.. وأنه ليس حقاً ما يقال إن أبا الأسود واضع أصول النحو العربى(١).

فالقضية أطرافها متعددة إنها تارة تتناول علم العربية من أساسه وتجعله منقولا عن الهندية أو اليونانية، وتارة تتناول المؤلف الأول فيه وتضع احتمال أنه مأخوذ عن الهندية، وتارة تتناول العصر الذى ألف فيه، وترى أنه لا يتلاءم مع ما عليه النحو من نضج ومن دقة فى الترتيب والتسلسل.

ولا يملك صاحب أى رأى من هؤلاء حجة قاطعة على زعمه حتى أشدهم تحمساً لا يملك إلا الظن، وإن الظن لا يغنى من العلم شيئاً.

ولكن الذى يحدث أنه يكفى أن يلقي أى مستشرق قولا فى مثل هذه القضية فيستهوى من يستهوى لما فيه من طرافة أو جرأة.. أو لما يوحى بأنه هدى إلى كشف جديد أو لما يثيره حول صاحبه من ضجة وجدل، كما أن بعض الباحثين يحاولون التوفيق إما دفاعاً أو إرضاء.

فمثلا نجد للأستاذ أحمد أمين رأياً يحاول فيه أن يجعل القضية تبدو فى صورة طبيعية وأن يسلسل الفكرة ويجعلها تتواءم مع نظرية النشوء والإرتقاء فيقول : «ويظهر لى أن نسبة النحو إلى أبى الأسود لها أساس

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، العدد الخامس، (ترجمة أبى الأسود الدؤلى).

صحيح وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط، وهو أنه ابتكر شكل المصحف(١) وواضح أن هذه خطوة أولية في سبيل النحو تتمشى مع قانون النشوء ويمكن أن تأتى من أبى الأسود، وواضح كذلك أن هذا يلفت إلى النحو فعمل أبى الأسود يسلم إلى التفكير فى الإعراب ووضع القواعد له.. وأن هذه الأمور لما توسع العلماء فيها فيما بعد وسموا كلامهم نحوا سحبوا اسم النحو على ما كان من قبل من أبى الأسود، وقالوا إنه واضع النحو للشبه فى الأساس بين ما صنع وما صنعوا، وربما لم يكن هو يعرف اسم النحو بتاتاً.. إنما الذى كان له الفضل الأكبر فى ذلك الخليل بن أحمد ذو العقل الجبار المبتكر الذى قل أن يوجد له نظير فى علماء ذلك العصر، وهو الذى عمل النحو الذى نعرفه إلى اليوم»(٢).

ويقدم الأستاذ إبراهيم مصطفى بحثاً تحت عنوان : أول من وضع النحو(٣) ويبدؤه بسؤال : «من أول من وضع النحو العربى، وأتخذ هذا المنهج المألوف فى رسم قواعد العربية؟».

وينفى أن أبا الأسود واضع أسس النحو، ويبين أن التباساً حدث، وأن أبا الأسود وطبقتين من النحاة بعده كانت مهمته أن ينقط المصحف، فإذا

---

(١) المقصود بشكل المصحف أى نقطه، وسميت هذه النقط شكلا لأنها تدل على شكل الحرف وصورته، وزعم بعضهم أن الشكل مأخوذ من شكلت الدابة إذا قيدتها بالشكال.

أنظر : تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، ص ٦٨.

(٢) ضحى الإسلام، ج٢، ص ٢٨٦.

(٣) بحث ألقى فى المؤتمر الحادى والعشرين للمستشرقين الذى عقد فى باريس فى المدة من (٢٣-٣١ يوليه ١٩٤٨) ومنشور فى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد العاشر.

اختلفوا فى كلمة قالوا : النحو كذا، أو العربية كذا. ومن هنا جاء التباس الأمر على الرواة فنسبوا وضع النحو إلى أبى الأسود فى حين أن المراد بالنحو المنسوب إليه نقط المصحف على سبيل العرب وسمتها فى القول(١). ويرى أن الحقيقة لا يجليها إلا البحث فى كتب النحو ذاتها لا فى أخبار الطبقات وينتهى به البحث فى كتب النحو إلى أن أقدم من نسب إليه رأياً نحوياً هو عبدالله بن إسحق الحضرمى المتوفى سنة ١١٧هـ وأن سيبويه قد ذكره ست مرات وأنه كان أقدم من أبى الأسود إذ أن أبا الأسود توفى سنة ٦٩هـ. ويؤيد رأيه بما ذكره ابن سلام من أن أول من بعج النحو ومد القياس والعلل عبدالله بن أبى إسحق.

ويرى أن تلميذه عيسى بن عمر الثقفى كان أول من حذق طريقته ومضى فى خطته وأكثر من استنباط القواعد حتى قال فيه الخليل بن أحمد :

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر

ويقوم الأستاذ الباحث بعمل دراسة استقصائية يتتبع فيها كتب النحو الباقية بأيدينا ليعلم أقدم عالم نسب إليه رأى نحوى فى هذه الكتب ويخرج بهذه النتيجة.

عن أسماء العلماء الذين نسب إليهم رأى علمى فى كتاب سيبويه وهو أول هذه الكتب وعن عدد المواضع التى ترددت فيها أسماؤهم وذلك على النحو الآتى :

---

(١) جاء في تعريف إبن جنى عن أبى على الفارسى النحو : «النحو انتحاء سمت كلام العرب».

وجاء فى اللسان : «النحو انتحاء سمت العرب فى القول». ويرى أن الذى سبب اختلاط الأمر على الرواة أنهم كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام على سبيل العرب وسمتها فى القول.

(هذا التفسير لينقل وجهة نظر الباحث لأن التلخيص بتصرف).

* عبدالله بن إسحق الحضرمى المتوفى سنة ١١٧ هـ ٦ مرات
* عيسى بن عمر الثقفى المتوفى سنة ١٥٠ هـ ١٨ مرة
* أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ ٣٩ مرة
* الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة ١٦٠ هـ ٣٧٦ مرة
* يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ هـ ١٥٥ مرة

وينتهى إلى أن أقدم هؤلاء هو عبد الله بن إسحق وأنه تروى له آراء نحوية حتى فى الكتب المتأخرة كالأشمونى المتوفى سنة ٩٠٠هـ والسيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ ثم يقول «فنحن أمام حقيقة واضحة أخذت من كتب النحو وهى أن أقدم من ينسب إليه رأى نحوى هو عبدالله بن إسحق الحضرمى»(١)

وتعليقنا بأنه يكفى أن رأى دائرة المعارف فى التشكيك أثر على فطحلين من أساطين العربية ولا يشك فى صدق إخلاصهما وغيرتهما على التراث.. ولكنها الرغبة فى أن يبرئا العربية والتراث الإسلامى من نقص أو خلل ينسب فيسيئ فكان رأى الأستاذ أحمد أمين فى النشوء والارتقاء ورأى الأستاذ إبراهيم مصطفى وهما معاً أجمعا على هدم ركن وطيد كل من زاوية وإن كان هدفهما غير ذلك.

ثم يأتى الأستاذ عبدالوهاب حمودة ويقدم بحثاً(٢) «حول بحث أول من وضع النحو» للأستاذ إبراهيم مصطفي يخالفه فيه فى النهج الذى انتهجه فى الاستنباط الذى استنبطه ويرى :

---

(١) السابق، ص ٧٢. وتستحب قراءة المقال من ص ٦٩ إلى ٧٤.

(٢) نشرته مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة فى المجلد الثالث عشر من ص ١٣٣ إلى ١٤٤.

* أن عدم سبق كتب النحو لكتاب سيبويه فى النقل عن العلماء الذين تقدموا عبدالله بن إسحق ليس دليلا على أن أولئك الأئمة لم يكن لهم سبق فى التفكير فى النحو ولم يقوموا بأية محاولات يصح أن تعتبر نواة كما اعتبرت محاولات عبدالله بن أبى إسحق نواة. ويرى أنه ليس من السهل طرح جميع الروايات التى رويت فى وضع أبى الأسود للنحو أو للعربية وأن لتضعيف الروايات أو رفضها قوانين وقواعد وضعها علماء الرواية(١).

* ويرى أننا إذا رجعنا إلى ما ذكره سيبويه فى كتابه رواية عن ابن أبى إسحق وجدناه لا يخرج عن محاولات وإتجاهات قد قام بمثلها من سبقوا ابن أبى إسحق كيحيى بن يعمر، وعبدالله بن هرمز ونصر بن عاصم غير أن ميدان هؤلاء هو كتب القراءات لا كتب النحو فقد كانوا جميعاً فى أول أمرهم من القراء حتى ابن أبى إسحق. ويأتى بأمثلة شبيهة بما رواه سيبويه عن ابن أبى إسحق لهؤلاء العلماء ولأبى الأسود الدؤلى نفسه(٢).

* ويرى أن عبدالله بن أبى إسحق مشخصاً لآراء شيوخه فقد أخذ عن ميمون الأقرن وعن يحيى بن يعمر وعنبسة الفيل ونصر بن عاصم وكل هؤلاء أخذوا عن شيخهم أبى الأسود الدؤلى.

ثم يرسم معالم لشخصية أبى الأسود ولمجتمعه الذى يعج باللحن تارة فى القرآن وتارة فى غير القرآن ويرى أن رجلا مثل أبى الأسود على نحو ما

---

(١) يقصد أن الأستاذ إبراهيم مصطفى طرح الروايات دون إتباع قاعدة أو قانون.

(٢) يأتي بمناقشة نحوية فى بيت من الشعر عن أبى الأسود تشبه ما جاء به عن ابن أبى إسحق ومصدره فيها سمط اللآلئ. وأمالى المرتضى والأغانى والكامل للمبرد وأنباء الرواة للقفطى.

(إقرأ : السابق، ص ١٣٥).

ومعنى ذلك أن على الباحث فى هذا المجال ألا يكتفى بكتب النحو فقط، ولا يكتفى بأن يضم إليها كتب طبقات اللغويين والنحاة فقط، وإنما يضيف إليها كتب القراءات، وكتب طبقات القراء وغير هذه وتلك.

وصفه الجاحظ فى البيان والتبيين والبكرى فى اللآلى كما سلم له الآن بما اخترعه من النقط ضابطاً للمصحف كان ينبغى ألا يمنع عليه بالتفكير فى ضوابط أولية ساذجة ليهتدى بها الأعاجم فى كلامهم وتكون لهم حواجز من اللحن.

كما أن ذهاب الأثر فى بطون التاريخ لا يسقط من قيمة الرواية فلو فرضنا أنه ليس هناك من أثر كتابى لأبى الأسود وتلامذته قبل ابن أبى إسحق فلا يدل هذا على أن الرواية ساقطة وغير صحيحة وإلا فأين القرآن الكريم الذى كان يأمر صلوات الله عليه كتّاب وحيه بكتابته على الرقاع واللخاف والعسب؟ بل أين القرآن الكريم الذى نسخ منه فى العرضة الأخيرة ما نسخ كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة ؟ بل أين الصحف التى جمعها أبوبكر ؟ فإذا قلنا إن هذه ممثلة فى المصحف الإمام الذى أمر بكتابته عثمان بن عفان فنقول قياساً على هذا إن الآراء الساذجة الأولية التى رسمها أبو الأسود وتلامذته فى العربية قد نجدها ممثلة فيمن جاء بعدهم» ثم يأتى بنص لصاحب الفهرست يؤكد رأيه(١).

---

(١) يقول صاحب الفهرست :

«كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثيرة تحتوى على قطعة من الكتب العربية فى النحو واللغة والأدب والكتب القديمة، فأخرج لى قمطراً كبيراً فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود وصكاك فيها تعليقات على لغة العرب، ورأيت ما يدل على أن النحو من أبى الأسود ما هذه حكايته وهى أربع أوراق وأحسبها من ورق الصين ترجمتها : (هذه فيها كلام فى الفاعل والمفعول من أبى الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر). وتحت هذا الخط خط عتيق (هذا خط علان النحوى) وتحته : هذا خط النضر بن شميل».

(أنظر : الفهرست لإبن النديم، الفن الأول من المقالة الثانية).

بقيت مكانة كتاب سيبويه وسر تبوئه لها على مر العصور والأجيال.

ولذلك أكثر من سبب :

أولها : خُلُق علماء المسلمن والنَّصَفة بينهم للسابقين وأهل الفضل.

«سئل يونس بن حبيب شيخ سيبويه عن عبدالله بن إسحق ومنزلته فى النحو فقال :

أنه هو والنحو سواء، أي هو الغاية فيه ولو كان فى الناس من لا يعلم إلا علمه اليوم لضحك منه ولو كان فى الناس من له رأيه ونفاذ بصيرته لم يقم له أحد(١). فهو العدل وإعطاء كل ذى حق حقه.. والسابقون السابقون.

أضف إلى ذلك طبيعة العصر الذى يعتمد على الرواية والدقة والأمانة خاصة فيما يتصل بالعربية لغة الوحى الإلهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وفى الإحصائية التى قام بها الأستاذ إبراهيم مصطفي ما يؤكد ذلك فقد استطاع أن يرد لكل ذى رأى رأيه فى دقة من كتاب سيبويه بعد أن مضى عليه ألف عام أو يزيد(٢).

---

(١) أنظر : أول من وضع النحو السابق، ومرجعه نزهة الألباء.

وأنظر ضبقات بن سلام.

وأخبار النحويين البصريين للسيرانى.

وضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين، ص ٢٨٩.

(٢) ليس فى رد الأستاذ عبدالوهاب حمودة ما ينقص من قيمة إحصائية الأستاذ إبراهيم مصطفي هل هو يريد أن يقول إنه كان عليه أن يضيف إليها كتب الطبقات وكتب القراءات..

ولا يغيب عن بالنا أن كتاب سيبويه محصلة جهود سابقيه فالإجلال للجهد الجماعى الذى أفرزته عقول العلماء على اختلاف البيئات والطبقات. لهذا لا نعجب إذا وجدناه يحظى منهم بهذه المكانة وأن يقولوا عنه «من أراد أن يعمل كتابا فى النحو بعد سيبويه فليستح» لأنه ماذا سيصنع أكثر من هذا الجهد الجماعى الذى هو محصلة جهود السابقين، وإن اللاحقين يفرغون طاقاتهم حوله وهل هناك بعد هذا ؟ إن من يحط بهذين الطرفين فقد أحاط بالنحو من أقطاره المختلفة لذلك لا نعجب من قول المبرد لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه :

هل ركبت البحر تعظيماً له واستصعاباً لما فيه(١) ؟

وماذا يصنع دارسو نحو أى لغة من اللغات ؟!

وكيف توصل نحاة اللغات الأخرى لنحو لغاتهم ؟!

إن نحاة العبرية تأثروا بمنهج النحو العربى فهل يقال إن النحو العبرى منقول من العربى.

بل إن الدكتور أحمد مختار يقول : «إن بعض المشابهات بين العملين الهندى والعربى لم تقتصر عليهما وحدهما، وإنما وجدت فى لغات أخرى كذلك فمن أين لنا أن نقول بنفوذ هندى فيها؟(٢)».

ونحن نقول إن فى النحو العربى روح يسرى لاشعورى عن طريق ترجمة بعض العلوم أو الإطلاع على ثقافات الأمم الأخرى. وفى هذا ما يؤكده الأصالة ويثبت القدرة العقلية وحسن الإستفادة وليس هو النقل وإخفاء المعالم.

---

(١) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) السابق، ص ١٤٤.

إقرأ : التحفظات التى ذكرها الدكتور أحمد مختار عمر فى هذه الصفحة من المرجع السابق، وما بعدها.

إن كتاب سيبويه محصلة للجهد الجماعى لسابقيه وأفرغ فيه لاحقوه. طاقاتهم فمن أراد أن يعمل فى النحو بعد ذلك فسوف لا يستطع أن يصنع أكثر من هذا بل إن الاتجاهات النحوية على الرغم من تعدد العواصم العلمية فى العالم الإسلامى عبر التاريخ إلى يومنا هذا ما استطاعت أن تصنع أكثر من أن تدور حول هذه الجهود لا فرق فى ذلك بين كوفى وبصرى ومصرى وبغدادى وأندلسى وقروى حقاً لكل إضافات ولكنها داخل الدائرة التى رسمها هذا المنهج. غير أن الذى أضاف إضافة جديدة هو عبدالقاهر، وإن كان أثرها فى مجال الدرس النحوى قد تلاشى تماماً.

وإننى أقول إن النحو العربى فى حاجة حقة إلى تجديد فى منهج التناول والدرس ويمكن أن يتخذ هذا الإتجاه التجديدى مسارين :

أحدهما : مسار النحو التوليدى Generative Grammar بمعنى الإستفادة من نظرية العالم الأمريكى المعاصر تشومسكى، والتى عرفت باسم النحو التحويلى التوليدى Generative Transformational Grammar حيث إن قواعد اللغة يمكن أن تصير جهاز لتوليد (to generate) جميع الجمل النحوية الصحيحة فى اللغة موضوع الدرس. فالقواعد النحوية يجب أن تكون قادرة على خلق الجمل الصحيحة فقط وتوليد كل الجمل الممكنة فى تلك اللغة فهى قواعد(١) وهذه تشبه إلى حد تلك الجمل التى كان يفترضها عبدالقاهر وغيره من نحاة العربية بمعنى افتراضهم

(١) أنظر فى هذه النظرية : .Grinder & Elgin; guid to transformational grammar P.4

وأنظر : د. عبده الراجحى : النحو العربى والدرس الحديث ١، ص ١١١ وما بعدها. واقرأ الباب الثانى كله فصل ١، ٢، ٣ إلى ص ١٦٠.

وأنظر : التعريف بعلم اللغة، تأليف دافيد كريستل، ترجمة د. حلمى خليل، هامش ص ١٥٠ للمترجم

جملا وحكمهم على صحتها. وهو ما أشرنا إلى مثله فى (عالم اللغة) تحت عنوان إمكانيات التأليف بطرق التعليق الممكنة وما سنجد له أمثلة فى فصل اللغة والمنطق.

أما المسار الثانى : فهو تنمية نظرية معانى النحو التى دعا إليها عبدالقاهر الجرجانى(١) والتى تتفق مع ما يدعو إليه هلمسلف فى إحدى مقالاته على الرغم من أنه يظن أن أحداً من فقهاء اللغة لم ينتبه لما قاله ولم يهتم به قبل اليوم(٢).

يشير الأستاذ لويس هلمسلف الدانمركى فى إحدى مقالاته إلى العنصر المهم فى الدراسة اللغوية فيقول : «إن الوحدات الحقيقية فى اللغة ليست الأصوات ولا الأشكال المكتوبة ولا المعانى ولكن الوحدات الحقيقية فى اللغة هى العلاقات المتبادلة بينها فى سلسلة الكلام على القواعد النحوية وهذه العلاقات تصنع نظام اللغة. وهذا النظام الداخلى هو المميز للغة على الأخرى بينما يعتبر التمثيل بالأصوات والأشكال المكتوبة والمعانى غير ذى صلة بنظام اللغة ويمكن تغيير هذه الأشياء بدون تغيير النظام. وهذا هو السبب فى أن المنهج التركيبى للغة فى حقيقة معناه مفهوماً على أنه العلاقات لأنماط اللغة بعيداً عن التحقيق فى الاستعمال اللغوى، لم يهتم به فقهاء اللغة قبل اليوم»(٣).

---

(١) أنظر إلى أبعاد هذه النظرية فى عالم اللغة من ص ١٨٨ وبعدها ومن ص ١٢٧ وما بعدها.

(٢) إقرأ : مقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج ص ٢٣.

(٣) أنظر : مقال Louis Hjelmslev, Structural Analysis of Language Studia Linguistics 1948 pp 69 FF.

وأنظر : مقال J.R. Firth; Structural Linguistics; T.P.S. 1955. pp. 95-96.

ومقاله : J.R. Fith; Descriptive grammar : papers in Linguistics, 1957. p. 220.

وقد تضافرت جهود العلماء حول كتاب سيبويه(١) هذا فهو عمل الجميع يأخذه اللاحق عن السابق قرأه أبو الحسن سعيد بن مسعد الأخفش، وقرأه عليه أبو عمر الجرمى وأبو عثمان المازنى وجاء المبرد فقرأ الكتاب على الجرمى والمازنى وأقرأه المبرد بعد ذلك أصحابه وتلاميذه ومنهم ابن درستويه وعلق عليه بالشرح والتفسير.

ثم تعاقبت عليه الشروح بعد ذلك فقد شرحه المبرد على بن سليمان الأخفش الأصغر المتوفى سنة ٣١٥هـ. وابن السراح المتوفى سنة ٣١٦هـ والرمانى المتوفى سنة ٣٤٨ هـ. وابن الحاجب، وأبو العلاء المعرى وغيرهم.

وإن نظرة واحدة فى سلسلة الأجيال التى تراها متتابعة فى الدرس اللغوى النحوى تريك كيف أن هذا العمل عمل جماعى وجهد مشترك يرتبط فيه العلماء بسلسلة نسب(٢).

وقد جاء علماء واستقلوا بتآليف ولكنها فى النهاية تأخذ من هذا الجهد الجماعى حتماً، فهذا النوع من الدرس لا يبدأ عالم فيه من فراغ أبداً فلم يأت واحد من هؤلاء بخلق جديد وإنما هو غاية الأمر قد اكتشف قواعد موجودة فى اللغة تستعملها الجماعة اللغوية(٣).

---

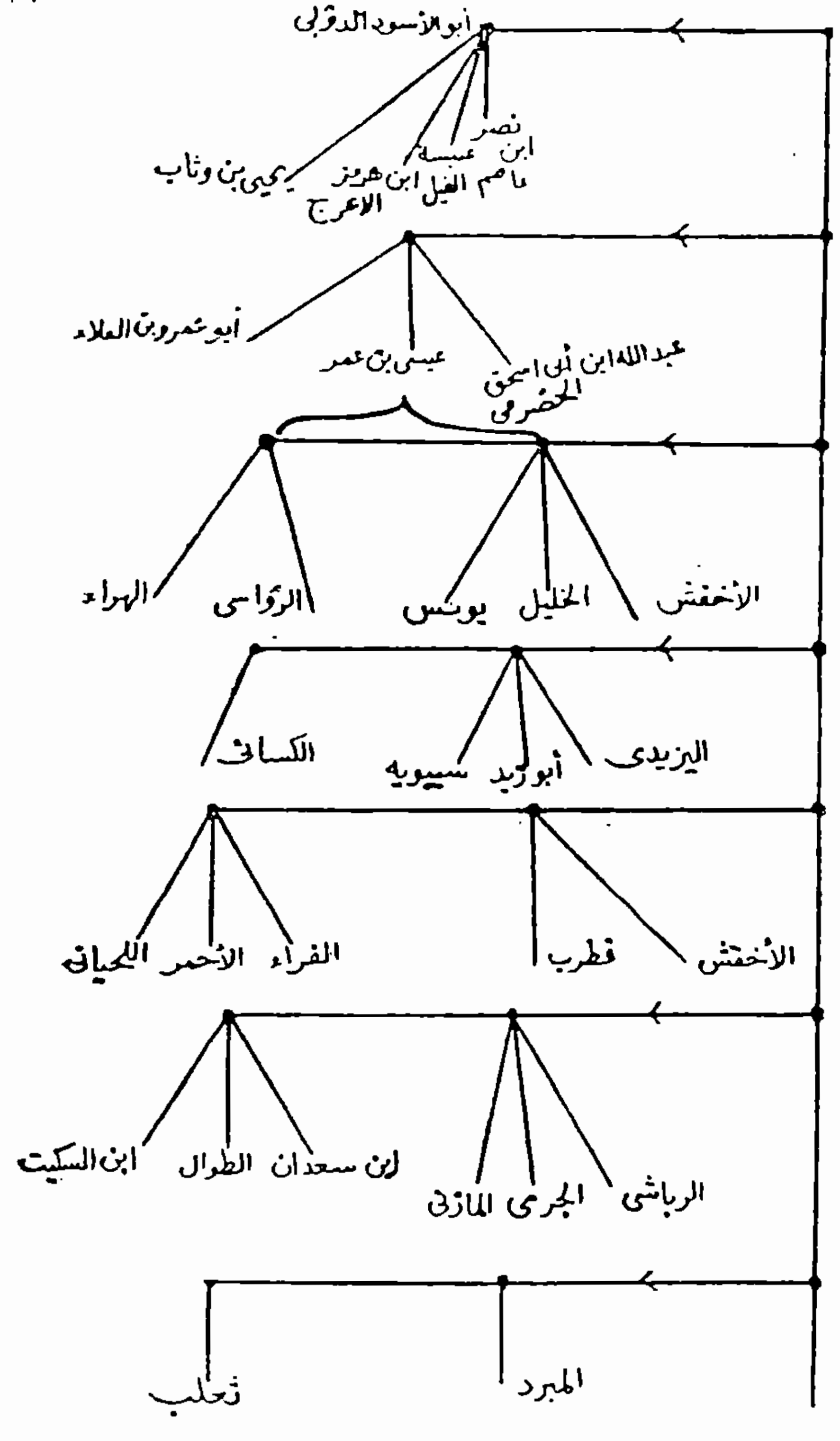
(١) أنظر : دائرة المعارف الإسلامية، مادة سيبويه.

واقرأ : كتب الطبقات : ابن سلام فى طبقات الشعراء. وابن قتيبة في المعارف.

(٢) أنظر : الرسم الموضح لهذه السلسلة ص ٣٩.

والزجاجى فى الأمالى. وأبى الطيب اللغوى فى مراتب النحويين. والسير فى أخبار النحويين البصريين. والزبيدى فى الطبقات. وابن النديم فى الفهرست. وابن الأنبارى فى نزهة الألباء.

(٣) أنظر : الرسم الذى يوضح سلسلة نسب هؤلاء العلماء فى الشكل المقابل ص ٣٩ ومنه يتضح أنه جهد جماعى فيه تعاون ونكران للذات.


أبو الأسود الدؤلي
نصر ابن عاصم
عنبسة الفيل
ابن هرمز الأعرج
يحيى بن وثاب
أبو عمرو بن العلاء
عيسى بن عمر
عبد الله ابن أبي إسحق الحضرمي
الهراء
الرؤاسي
يونس
الخليل
الأخفش
الكسائي
سيبويه
أبو زيد
اليزيدي
اللحياني
الأحمر
الفراء
قطرب
الأخفش
ابن السكيت
الطوال
ابن سعدان
المازني
الجرمي
الرياشي
ثعلب
المبرد

ولأهمية جهد كل عالم من هؤلاء ولأهمية دور كل عالم عبر الزمن من خلال هذه الطبقات وما بعدها فقد تفردت كتب لحصر جهودهم وحددت دور كل واحد وأحصت ما قدمه فى مجال أدائه أو اجتهاده سواء فى القراءات القرآنية أو الدراسات اللغوية أو النحوية.

فهما مجالان متكاملان ينحصران فى كتب طبقات القراء وكبت طبقات اللغويين والنحاة.

قد حرص العلماء فى كتب القراءات على تسجيل كل دقيقة صغيرة أو كبيرة ونسبوا لكل عالم ما له. ومثلها كتب اللغة والنحو.

أما كتب الطبقات فى المجالين فقد حصت وأوعت وسجلت أقوال العلماء ومذاهبهم وآراءهم وبسطت القول فيها وأحصت مؤلفاتهم وحددت أعمارهم وتاريخ وفياتهم(١) ... إلخ.

---

(١) من كتب طبقات القراد كتاب «غاية النهاية» لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد بن الجزرى وقد عنى بنشره ج. برجشتراسرا "G. Bergstrasser" (مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٥م) (طبعة أولى، مكتبة الخانجى، بمصر ١٩٣٣م - فى مجلدين).

وعدد القراء فيه ٣٩٥٥، يقع فى الجزء الأول منه ٢٥٣٣ والبقية فى الجزء الثانى والترتيب أبجدى وليس زمنياً.

وعلى سبيل المثال مما جاء فيه عن يونس بن حبيب شيخ سيبويه «روى القراءة عرضاً على أسامة بن يزيد العطار وأبي عمرو بن العلاء، وأخذ العربية عنه وعن حماد بن سلمة، وروى القراءة عنه ابنه حرمى بن يونس، وأبو عمرو الجرمى، وإبراهيم بن الحسن وعبدالله بن سليمان، وعيسى الأسدى، وموسى بن عبدالصمد الأبلى».

كما جاء عن الفراء على سبيل التمثيل أيضاً : (يحيى بن زياد أبو زكريا الخوارزمى)، روى القراءة عرضاً عن على بن حمزة الكسائى. وهو من جلة أصحابه قال الهذلى :

«وهو نظير قتيبة فى الإمالة - روى القراءة عنه عرضاً يحيى بن زكريا النيسابورى، وذكر ابن سوار أن يوسف بن جعفر بن معروف قرأ عليه فقط يحيى بن زكريا والله أعلم».

وعن كتب القراءة نفسها : =

بالإضافة إلى كل ما سبق فإن لهؤلاء العلماء وهم بصدد جمع

= ـ إقرأ : مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لإبن خالويه (المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤) عنى بنشره أيضاً ج. برجستراشر (وهو رقم ٧ فى سلسلة النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية).

ـ وكتاب النشر فى القراءات العشر لإبن الجزرى أيضاً.

ـ والحجة فى القراءات السبع للإمام ابن خالويه، تحقيق وشرح : د. عبدالعال سالم مكرم.

ـ وكتاب السبعة فى القراءات لإبن مجاهد، تحقيق : الدكتور شوقى ضيف.

أما عن كتب طبقات اللغويين والنحاة :

فقد حظيت كل كتب اللغة وطبقات اللغويين والنحاة بمثل ما حظيت به كتب القراءات، وطبقات القراء.

فلقد كان للدور الذى يقوم به هؤلاء العلماء أهمية فهو يتصل بالكتاب الكريم والعقيدة الحنيفة.

وقد أورد ياقوت فى مقدمة معجم الأدباء. (ج١، ص٤٧) أن مؤلفات صغيرة فى هذا المجال قام بها : محمد بن يزيد المبرد، وأحمد بن يحيى المعروف بثعلب، ومحمد بن عبدالملك التاريخى، وعبدالله بن جعفر بن درستويه. وقال ياقوت بعد أن ذكر هذه الكتب : «ثم صنف فيه أبو عبدالله محمد بن عمران المرزبانى كتاباً خضلا على عادته فى تصانيفه إلا أنه حشاه بما رووه وملأه بما وعوه فينبغى أن يسمى مسند النحويين وقد وقفت على هذا الكتاب وهو تسعة عشر مجلداً. ونقلت فوائده إلى هذا الكتاب مع أنه قليل التراجم بالنسبة إلى كبر حجمه».

ثم ألف فيه أبو سعيد الحسن بن عبدالله المرزبان السيرافى القاضي كتاباً صغير عن نحاة البصرة.

وفى القرن الرابع ظهر كتابان جليلان فى هذا الشأن هما : كتاب «طبقات النحويين واللغويين» لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأشبيلى الأندلسى (حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم – نشر دار المعارف ١٩٧٣) وبنى الزبيدى كتابه على الطبقات والمدارس وقد عنى فيه بذكر المواليد والوفيات وملأه بمختلف الأخبار والطرف والحكايات عن النحويين واللغويين فجعل البصريين عشر طبقات بدأهم بأبى الأسود الدولى، وعبدالرحمن بن هرمز وختمهم بالطبقة العاشرة وهم أصحاب الزجاج وأصحاب ابن السراج وأصحاب الأخفش على بن سليمان وأصحاب ابن درستويه.

وجعل النحويين الكوفيين ست طبقات بدأ الطبقة الأولى بالرزاسى ومعاذ الهراء وأبى مسلم وختمهم بأصحاب ثعلب.

وجعل اللغويين البصريين سبع طبقات بدأهم بالمنتجع الأعرابى وختمهم بأصحاب ابن دريد.

وجعل اللغويين الكوفيين خمس طبقات بدأهم بحماد بن هرمز وأبى البلاد الأعمى وختمهم بأبى عمر المطرز ومحمد بن الحسن بن يعقوب وأبى عبدالله الحسين بن أحمد الفزارى.

وجعل النحويين واللغويين المصريين معا ثلاث طبقات والنحويين واللغويين القرويين معاً أربع طبقات. والنحويين واللغويين الأندلسيين معاً ست طبقات. =

مادتهم وإقامة الدراسة» عليها اجتهاداتهم وحسناتهم التى حسبت لهم

= والكتاب الثانى كتاب مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى من علماء بغداد ثم حلب، وقد أدار أبو الطيب كتابه على ذكر مراتب العلماء ومنازلهم من العلم، وحظهم من الرواية وعقد الصلة بين الشيوخ والتلاميذ منذ ظهور اللحن ووضع أبى الأسود للنحو ثم ظهور البصرة والكوفة وبغداد عواصم علمية لدراسته.

وألف القاضى أبوالمحاسن المفضل ابن محمد بن مضر المغربى كتاباً لطيفاً ذكره ياقوت.

وذكر أيضاً أن على بن فضال المجاشعى ألف كتاباً وسماه «شجر الذهب فى أخبار من ذهب» ثم قال عنه: وجدته كثير التراجم قليل الفائدة لكونه لا يعنى بالأخبار ولا يعيأ بالوفيات والأعمار. ووضع أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنبارى كتابه «نزهة الألباء فى طبقات الأدباء» قال عنه «ذكرت فى هذا الكتاب الموسوم بنزهة الألباء فى طبقات الأدباء معارف أهل هذه الصناعة من الأعيان ومن قاربهم فى الفضل والإتقان، وبينت أحوالهم وأزمانهم على غاية الكشف والبيان (طبع كتاب نزهة الألباء بالعراق نة ١٩٥٩).

وألف الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى كتابه المعروف «أنباه الرواة على أنباه النحاة» وقد ذكر فيه علماء علمى النحو واللغة ورتبهم على حروف المعجم وصدره بترجمة سيدنا على بن أبى طالب وأبى الأسود الدؤلى. ثم ذكر العلماء فى مختلف البيئات على امتداد أرض الوطن الإسلامى آنذاك من أرمينية والثغار وأذربيجان وما وراء النهر وغزنه وكرمسير وخراسان والجبال وديار بكر والموصل والشام ومصر ووسط أفريقية والمغرب وصقلية والأندلس (طبعته دار المعارف المصرية بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم).

وفى القرن الثامن وضع عبدالباقى بن على بن محمد بن عبدالمجيد القرشى اليمانى كتاباً صغيراً أسماه «إشارة التعيين قصره على المشهورين» وذكر أنه فرغ من تأليفه سنة ٧٧٣هـ علي ترتيب حروف المعجم (منه نسخة مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ١٦١٢ – تاريخ).

كما ألف ابن قاضى شهبه أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدى المتوفى سنة ٨٥١هـ كتاباً أسماه طبقات النحويين واللغويين أودع فيه أسماءهم مرتبة على حروف المعجم.

(منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق).

وألف عبدالرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطي كتابه بغية الدعاة فى طبقات اللغويين والنحاة أودعه صفوة جميع الكتب التى سبقته وزاد عليها ما انتقاه من كتب الأدب والتاريخ والتراجم ومعاجم الشيوخ والتذكرات ومقدمات الكتب بالإضافة لمشاهداته وأخبار شيوخه وعلماء عصره، قال في وصفه بنيت فيه النحاة طبقات قواعدها على مر الزمان لاتهى وأحييت فيه ميتهم فلم أغادر شهيرا ولا خاملا إلا نظمته فى سلك عقده البهى فلو رآه البيهقى لخلع وشاحه بين يديه توقراً. ثم ذكر من الكتب التى استعان بها لترجمة علماء العجم:

- تاريخ بغداد للخطيب القزوينى، والذيل عليه للحافظ تقى الدين بن رافع.
- وتاريخى نيسابور للحاكم عبدالغفار.

=

لدى الدارسين المنصفين كما أن لهم زلاتهم التى أخذت عليهم أيضاً.

= ـ وتاريخ جرجان للسهمى.

ـ وتاريخ أصبهان لأبى نعيم، كما ذكر فيه علماء المغرب ومصادره عنهم فقال : «وأما علماء المغرب فأهله أصحاب اعتناء شديد، والنحاة عندهم جم غفير وأكثر ما وقفنا عليه من تواريخهم تواريخ الأندلس».

ورتب تراجمه على حروف المعجم وابتدأها بالمحمدين ثم بالأحمدين تبركاً. وقد حقق بغية الوعاة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وقدم لها بمقدمة قيمة أفدنا منها كثيراً يستحسن الرجوع إليها.

الفصل الثانى

مصادر المادة اللغوية
ومنهج جمعها ودراستها

مصادر المادة اللغوية ومنهج جمعها ودراستها

اعتمد هؤلاء العلماء على لغة القرآن الكريم، واتخذوها مصدراً لتلك الدراسات ولهذه العلوم. كما أنهم درسوا معها الشعر العربى، واتخذوا مصدراً لدراستهم أيضاً(١)، واعتمدوا على فصحاء العرب، وعلى الفصحاء فى العربية من غير العرب ممن صحت سلائقهم وسلمت لغتهم، ومنهم على سبيل التمثيل :

* الحسن البصرى قال عنه أبو عمرو بن العلاء : «ما رأيت أفصح من الحسن البصرى، والحجاج بن يوسف الثقفى فقيل له فأيهما أفصح؟ قال : الحسن»(٢).

* وأبو عمرو بن قائد الأسوارى الذى جلس يعظ فى مسجده نحو ست وثلاثين سنة وقد كان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به»(٣).

* وموسى بن سيار الذى عُدّ من أعاجيب الدنيا(٤).

* وعبدالله بن إسحق الحضرمى الذى قيل عنه : إنه أول من بعّج النحو ومد القياس(٥). وعنه أخذ عيسى بن عمر الثقفى، وهو من الأعاجم أيضاً. كما أخذ عنه الخليل بن أحمد وعن الخليل أخذ سيبويه،

---

(١) إقرأ : خزانة الأدب ولب لباب العرب تأليف عبدالقادر البغدادى تحقيق الأستاذ/ عبدالسلام هارون، ص ٥ وما بعدها، موضوع الكلام الذى يصح الاستشهاد به.

(٢) أنظر : وفيات الأعيان لإبن خلكان، ج٧، ص ١٨٩.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ، ج١، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٤) السابق، ص ٣٤٩.

(٥) طبقات الشعراء، محمد بن سلام، ص ١٠.

وقد روى عنه فى أكثر من موضع من كتابه.

غير أن الأمر اللافت أن أئمة النحاة المتقدمين لم يحتجوا بشئ من الحديث النبوى الشريف(١) وحجتهم أن كثيراً من الرواة ليسوا عرباً بالطبع فوقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون(٢).

---

(١) خزانة الأدب، ص٩.

(٢) السابق، ص ١١، واقرأ من ص ٥ إلى ص ١٨ الأمر الأول فى الكلام للذى يصح الاستشهاد به وأئمة المتقدمين لم يحتجوا بشئ من الحديث ولكن دار خلاف بين المتأخرين حول الاستشهاد بالحديث.

فلمح إليه على النحو الآتى :

وسوف نكتفى بالإلماح فى هذا المجال إلى آراء كل من ابن مالك، وابن الضائع، وأبى حيان، والشاطبى، والسيوطى.

* أما عن ابن مالك فقد جوزه وتبعه الشارح المحقق فى ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم.

* أما أبو الحسن بن الضائع فى شرح الجمل فقد منع الاستشهاد به ورأيه أن تجوز رواية الحديث بالمعنى هو السبب فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاحتجاج بالحديث.

* وأما أبو حيان فقد قال فى شرح التسهيل : قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبى عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه من أئمة البصريين والكسائى والفراء، وعلى بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس.

* أما الشاطبى فقد توسط فجوز الاحتجاج بالأحاديث التى اعتنى بنقل ألفاظها قال فى شرح الألفية «لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم وأشعارهم التى فيها الفحش والخنى ويتركون الأحاديث الصحيحة لأنها تنقل بالمعنى».

* وأما السيوطى فقد قال : «وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما أثبت أنه قاله على اللفظ المروى وذلك نادر جداً، وإنما يوجد فى الأحاديث القصار على قلة أيضاً فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عباراتهم فزادوا ونقصوا وقدموا وزخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ولهذا ترى الحديث الواحد مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة، ومن ثم أنكر على بن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة فى الحديث.

=

والعربى القح عندهم مصدر لا يخطئ. جاء فى كتاب الخصائص لإبن جنى : «قرأ أعرابى على أبى حاتم السجستانى : طيبى لهم وحسن مآب، فقال له طوبى. فقال : طيبى. فعاد أبو حاتم يصلحها له مرة أخرى قائلا : طوبى، فقال الأعرابى طيبى فأصر أبو حاتم على إصلاحها له بالواو والأعرابى يمتنع عن نطقها كما هى فى القرآن، ويستمر على لحنه طى.. طى فلم يؤثر فيه التلقين، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هز ولا تمرين»(١).

كما أنهم رأوا أن العرب قد يلاحظون بالمنة والطباع ما لا نلاحظه نحن على طول المباحثة والسماع(٢)».

ومن حق العربى عندهم أن يتصرف فى اللغة ويرتجل فيها : «فالعربى إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به»(٣).

= فالمانعون يحتجون بأمرين :

١ - أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم وإنما رويت بالمعنى.

٢ - وأن أئمة النحو المتقدمين من المصريين لم يحتجوا بشئ منه.

وأما المجوزون فقد ردوا على الأمرين على النحو الآتى :

الرد على الأول : أن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب وقبل فساد اللغة، وغايته تبديل لفظ بلفظ وهذا يصح الاحتجاج به.

والرد على الثانى : أنه لا يلزم من عدم استدلال المتقدمين بالحديث عدم صحة الاستدلال به، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث النحوى، ويلحق به ما ورد عن الصحابة وأهل البيت.. إلخ.

(١) الخصائص : لإبن جنى، ج١، ص ٧٧-٧٨.

(٢) إقرأ : المزهر، ج٢، ص ٣٠٨-٣٠٩. وإقرأ حديثه عن معرفة أغلاط العرب، وتحليل أبى على الفارسى لها على لسان ابن جنى، ولاحظ قوله هناك (ص ٣٠٩): «فإن لم يعرف حقيقة تصريفه بالصنعة فإنه يجدها بالقوة. (أى قوة الطبع والفطرة).

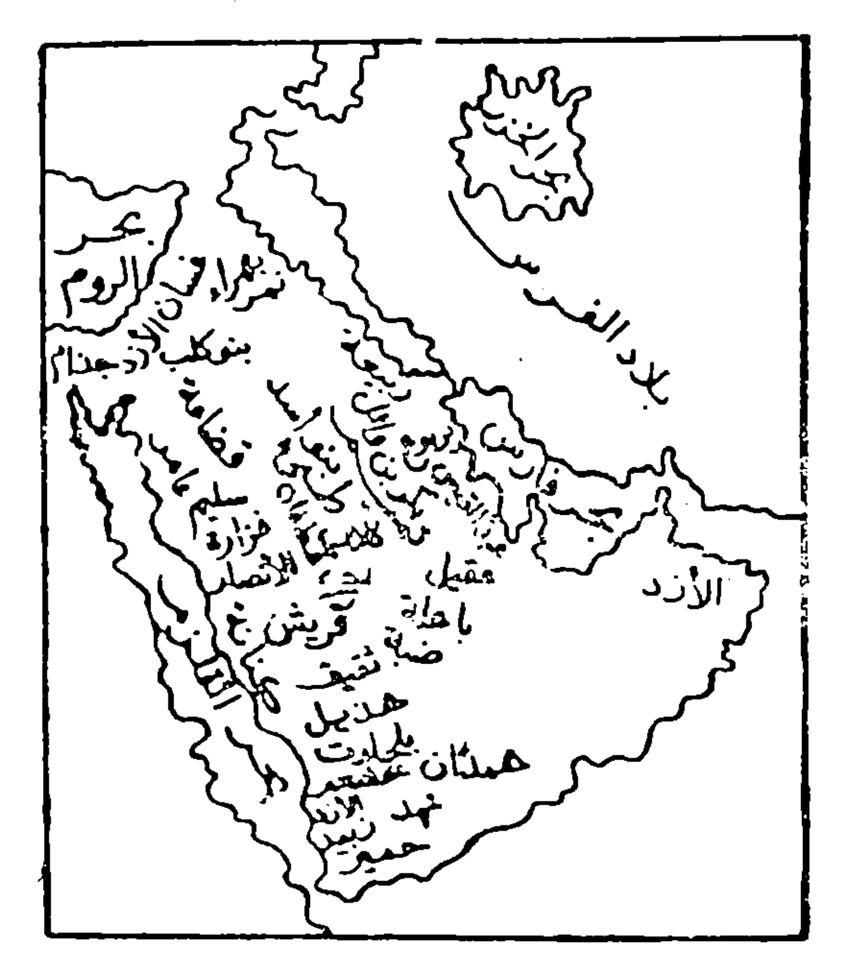
(٣) الخصائص : ج١، ص ٤٢٤.

لذلك فقد حصروا الأخذ والتلقى فى قبائل بعينها لأسباب : قبيلة قيس وتميم وأسد وبعض كنانه وبعض الطائيين وذلك لأنه كما قال أبو نصر الفارابى فى كتابه المسمى بالألفاظ والحروف : «إن الذين عنهم نقلت العربية وبهم أقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى من قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ عن لحم ولا عن حذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا عن قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا عن تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا عن بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا عن أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة، ولا عن ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا عن حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا عنهم صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم وفسدت ألسنتهم»(١).

ولنا هنا عدة ملاحظات منها : أن تحديدهم البيئة المكانية للغة المدروسة أمر جدير بالتقدير.

كما أن اهتداءهم إلى أن الاحتكاك اللغوى يترك أثره فى اللغات أمر قيم هداهم له إخلاصهم وصدقهم فى عملهم، فما يشترطه اللغويون المحدثون فى الرواى اللغوى، وهو الشخص الذى تؤخذ عنه اللغة أو اللهجة المدروسة :

(١) أنظر : المزهر لجلال الدين السيوطى، ج١، ص ١٢٨. أنظر : الاقتراح له أيضاً. وإقرأ ص ١٩. وأنظر : الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية، ص ٨-٩ لحفنى ناصف. وأنظر : الرسم الذي يوضح موضع القبائل ص ٥١، الرسم الصفحة التى بعد هذه مباشرة لخريطة القبائل.



خريطة توضح القبائل العربية التى انتشرت على طول وعرض شبه جزيرة العرب، ووجدت عوامل مختلفة باعدت بين كل قبيلة وأختها فاختلفت لذلك لهجاتها. ومن هذه العوامل : العامل الجغرافى، والطبيعى، والعامل الاقتصادى، والعامل السياسى، وما بين القبائل من حروب وتنافر... إلخ ومن أجله كان يجب أن تدرس كل لهجة على حدة لا أن تجمع المادة من عدة قبائل منها كيفما اتفق.

كما كان ينبغى أن تدرس لهجات جميع القبائل ما بعد منها وما قرب وأن يدرس من أثر الاحتكاك اللغوى والصراع اللغوى وغيره للقبائل التى أهملت لهجاتها وهكذا... إلخ.

(أ) أن يكون من صميم أهل البلدة التى يعيش فيها.

(ب) وألا يكون قد نزح عنها إلى بلاد أو قرى أخرى ثم عاد إليها حتى لا تتأثر لهجته بمؤثرات خارجية أو تختلط لهجته بلهجات أخرى.

(جـ) وألا يكون متأثراً بعوامل ثقافية يكون لها دخل فى تغيير لهجته وكل هذا يتفق مع ما أجمع عليه علماء اللغة العربية من أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين فى اللغة(١).

ونبدى هنا ملاحظة مؤداها أنهم عندما جعلوا هذه اللهجات كلها لهجة واحدة جانبهم الصواب لأن هذا لا يتفق مع ما تتطلبه الدقة الموضوعية ومع ما يتطلبه المنهج الدقيق على نحو ما سيتضح فيما بعد(٢).

أما تحديدهم الفترة الزمنية التى أخذوا منها شواهدهم فهذا أيضاً عمل جيد يسجل لهم فيه فضل السبق وإن كانت لنا عليه ملاحظات منها :

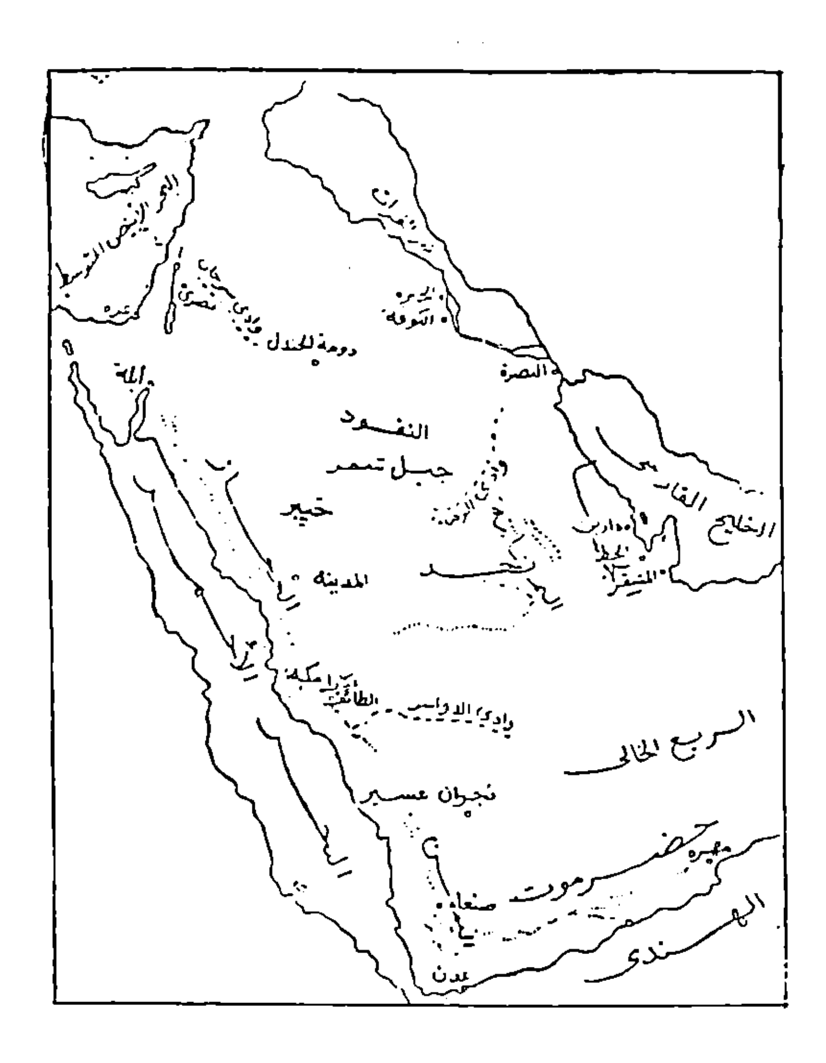
أن هذا العمل منهم ينبئ أنهم أدركوا أن الاستعمال اللغوى دائم التغير وأنه لن يتوقف، وأن اللغة تتبدل بالاستعمال ويطرأ عليها التغير من جيل إلى جيل فهى ليست شيئاً ثابتاً يمكن أن تتناقله الأجيال كما هو دون أن يطرأ عليه ما يبدل حاله وإنما الاستعمال اللغوى الدائم يدفع كثيراً من الظواهر اللغوية إلى التغير وكان لهم إزاء تلك الحقيقة اللغوية موقف ذو حدين : الجانب الأول منه محمود وهو أنهم أرادوا أن يوقفوا حركة التطور الدائم فنجحوا فى بعض الجوانب إلى حد ما ولكنهم أخفقوا فى بعض آخر(٣) لأنهم أرادوا أن يوقفوا سنن التطور.

---

(١) الاقتراح فى أصول النحو وجدله لجلال الدين السيوطى. وخزانة الأدب، ج١، ص٨.

(٢) أنظر : الخريطة المقابلة هذه الملاحظة تشير إلى هذه الخريطة (شكل ١).

(٣) إقرأ : فى علم اللغة التاريخى دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى ونوع خاص، باب الخواص الصرفية والنحوية من ص ٢٤٩ إلى ص ٣٦٤.



خريطة توضح أسواق العرب والطرق التجارية التى تتم عن طريقها اختلاط قبيلة قريش بغيرها من القبائل فتأخذ من لغاتها ما تنتقيه ومن أجله نجد فى لغة قريش من لغات القبائل الأخرى. وفرق كبير بين الحالين :

الأول : خلط من صنع جامعى اللغة سببه المنهج.

والثانى: اختلاط وأخذ وإعطاء وفق سنن اللغة لأسباب اقتصادية ودينية واجتماعية أى تأثير نتيجة الاحتكاك يتم فيه الهضم والتمثيل ويصير المأخوذ عنصراً من عناصر اللغة الآخذة تطبق عليه مناهجها صوتياً وصرفياً وتركيبياً ودلالياً.

والحد الثانى عليه كثير من التحفظات :

فقد حددوا الفترة الزمنية التى تنتهى عندها شواهدهم بمنتصف القرن الثانى للهجرة وإبراهيم بن هرمة عندهم هو آخر من يحتج به(١) أو هو آخر الحجج(٢) ، وإبراهيم بن هرمة هذا ولد سنة تسعين للهجرة، وعمر طويلا حتى اجتاز منتصف القرن الثانى، «وكان الأصمعى يقول : ختم الشعراء بإبن هرمة،وحكم الخضرى وابن ميادة، وطفيل الكنانى ودكين العذرى(٣).

ثم إنهم جعلوا الشعراء طبقات :

١ - الجاهليون.
٢ - المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام مثل لبيد وحسان.
٣ - المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق.
٤ - المولدون ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبى نواس.

فالطبقتان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها.

وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً. وقد يستشهد بكلام من يوثق به منهم واختاره الزمخشرى فإنه استشهد بشعر أبى تمام

---

(١) الاقتراح لجلال الدين السيوطى، ص ٢٧.

(٢) خزانة الأدب، ج١ ، ص ٨ من مقدمة المؤلف.

(٣) هامش المحقق (السابق) : الأغانى، ج١ ، ص ٨.

فى عدة مواضع وقال : «وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرد به»(١).

ولنا أن نتساءل : ما معنى تقسيمهم الشعراء إلى طبقات ؟

ألا يعنى هذا التقسيم بطريقة ضمنية. أنهم أدركوا أن بين كل طبقة وأخرى فروقاً وخصائص مميزة ؟

ألم يكن فى ذلك ما يحفزهم إلى دراسة لغة كل طبقة وإبراز الخصائص اللغوية المميزة لكل طبقة عن الأخرى ؟

ثم هل يعقل أن الطبقة الرابعة وهى طبقة المولدين إلى زماننا طبقة واحدة فى خصائصها اللغوية ؟

لقد أدركوا بحسهم اللغوى أن خصائص لغوية تميز كل طبقة عن الأخرى ودليل ذلك ما جاء عنهم هم أنفسهم.

فقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبدالله بن أبى إسحق والحسن البصرى وعبدالله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرّمة وأضرابهم.

وفى هذا دلالة على أن اللغة فى ألسنتهم كانت قد أصابتها دفعة من التطور فتبدلت بعض الخصائص السابقة لها.

وأن الفصحى لم تعد فى ألسنتهم سليقة وإنما يتقنونها بالتدرب عليها فمنهم من يحسن ومنهم من لا يحسن بدليل أن أبا عمرو كان يقول : «لقد أحسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق فجعله مولداً بالإضافة والقياس إلى

---

(١) إقرأ : الخزانة مقدمة المؤلف، الأمر الأول، ص ٥، ٦، ٧.

شعر الجاهلية والمخضرمين وكان لا يَعُدّ الشعر إلا ما كان للمتقدمين قال الأصمعى :

جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببت إسلامى.

ألا يدل ذلك على أنه أدرك بحسه اللغوى وجود تفاوت ؟

ثم ما معنى أن الطبقة الرابعة لا يستشهد بشعرها مطلقاً ؟

لا شك أن ذلك :

يسلمنا إلى حقيقتين **أولاهما** : أن اللغة كانت تتطور في ألسنة الأجيال المتعاقبة وأن العلماء أدركوا ذلك بحسهم اللغوى وكان عليهم أن يدرسوه ويبينوا الخصائص المميزة لكل جيل ويرصدوا تحركات التطور المتعاقبة فى تؤدة حتى نحسن استغلالها فى خدمة الفصحى فتقوم دراسة اللغة على أساس فهم ماهية اللغة ونستقى عناصر دراستها وفهمها من طبيعة نفسها غير واقفين فى وجه سننها.

والثانية: أن إتقانهم الفصحى كان بالمران والراية وهذا أمر لا غبار عليه وإنما فيه ما يؤكد أن اللغة لا علاقة لها بالجنس وإنما هى قابلة للأخذ والتلقى والإتقان وفى هذا ما يتفق مع ما يراه اللغويون المحدثون من أنه «لا ينبغى الخلط بين المميزات الجنسية المختلفة التى لا يمكن تحصيلها إلا بالدم وبين النظم من لغة ودين وثقافة التى تُعَدُّ أعياناً قابلة للنقل تعار وتتبادل»(١).

---

(١) اللغة، لفندريس، ص ٢٩٨، عن هويتنى رقم ١٢٩-٢٣١

D. whitney : La Vie du Langage, P. 231, (Trad de L'anglis) 3 é edit, Paris.

وأنظر : اللغة والمجتمع، د. السعران، ص ٤٤.

وقد اتخذ مجمع اللغة العربية القاهرى فى هذا الصدد قراراً مؤداه : «أن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثانى، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى نهاية القرن الرابع»(١).

وحجته فى التحديد أن لغة العرب ظلت سليمة فى بواديهم حتى نهاية القرن الرابع الهجرى، وفى حواضرهم حتى نهاية القرن الثانى الهجرى وأن ما ظهر من اللحن والخطأ خلال تلك الفترة ضئيل يمكن الاغضاء عنه، والتيسير بإغفاله تجنباً لمشكلات تعوق اللغة وتوقف تقدمها والإستفادةمنها فمن الخير عنه الاقتصار فى التحديد على تلك الفترة لأنها التى سلمت فيها اللغة أو كادت ولأن الخطأ تدفق بعدها من ثغرات متعددة.

ولم يرض عن هذا القرار بعض المعاصرين وحجتهم أن من الشعراء والناثرين بعد عصور الاحتجاج التى حددها قرار المجتمع من هو قويم اللسان سليم البيان يصلح أن يكون مرجع استشهاد ومرد حجة كأبى تمام والبحترى والمتنبى والمعرى وشوقى وأشباههم من الشعراء، وكالجاحظ وابن خلدون والمويلحى ومحمد عبده وأمثالهم من الناثرين وغير هؤلاء وأولئك من رجالات اللغة والعلم والأدب(٢).

---

(١) ورد هذا النص فى ص ٢٠٢ من الجزء الأول - مجلة المجمع.

وأنظر : اللغة والنحويين القديم والحديث عباس حسن، ص ٢٤-٢٥. وص ١٢٩ وما بعدها.

(٢) السابق، واقرأ : رد الأستاذ عباس حسن على اعتراض المعترضين ص ٢٥، ص ١٢٩ وموجز ما يراه أن :

«هؤلاء لا نعدهم من زعماء البيان إلا إذا جروا على النمط العربى السليم واتبعوا أصوله ومتى فعلوا فقد صاروا عربا بلغتهم وتماثلت اللغتان حتى صارتا لغة واحدة، وأصبح كلام هؤلاء منسوباً إليهم فى الظاهر ولكن مفرداته وضبطها وطريقة تركيبها ونظم تأليفها منسوبة إلى العرب الزوائل فهم والعرب سواء من هذه الناحية وبهذا تتحقق رغبة المجتمع فيهم وينطبق عليهم قراره».

غير أن الأمر فى مجموعه يمكن تناوله على النحو الآتى :

القرار الذى اتخذه المجمع له مبرره فالمجمع يريد مستوى معيناً من اللغة العربية وهى اللغة الفصحى أو ما يمكن أن يطلق عليه اسم اللغة النموذجية وهو إتجاه محمود فيه غيرة وحرص ولكن ألم يجعل هذا القرار كل القبائل قبيلة واحدة ؟!!

ألم يجعل من الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع عصراً زمنياً واحداً.

أما بالنسبة لاعتراض المعترضين وهم يرون العربية الفصحى قويمة سليمة على ألسنة زعماء البيان فى الأعصر المختلفة وأنهم قد لقنوا اللغة وكملوا بمعرفتها فكيف لا يجيز مجمع اللغة الاحتجاج بهم والأمر أمامه بين وهو فى هذا العصر وفهمه لحقيقة الأمر وتعاطفه معه أكبر، كيف لا يجيز اتخاذ زعماء البيان مَرَدّا وحجة وموقفهم فى هذا يشبه موقف أبى عمرو بن العلاء حين قال «لقد أحسن هذا المولد حتى لقد همت أن آمر صبياننا برواية شعره» وهذا الموقف يؤكد أن اللغة قابلة للأخذ والتلقى وأنها كما تكون سليقة قد تكون خليقة وقد يكمل الإنسان فيها بالصنعة.

ولكن إن كان الأمر كذلك وتماثلت لغة الخليفة والسليقة فهما لغة واحدة ولا فرق بين هذه وتلك مما قد يسوغ الاحتجاج بهؤلاء المتأخرين فلا مانع ولكن لأن الفصحى ليست لغة حياتهم اليومية مما قد يؤثر على أقلامهم فقرار المجمع فى هذا له ما يبرره ولرد الأستاذ عباس حسن إقناعه.

وجوب تحديد البيئة الزمانية والمكانية

وجوب تحديد البيئة الزمانية والمكانية :

وعندى أن سبب إخفاق اللغويين الأوائل فى بعض جوانب علاجهم مرجعه إلى طريقتهم فى المعالجة، فكان يجب عليهم بعد الفراغ من هذه الدراسة لتلك المرحلة ألا يدوروا حول أنفسهم فيها، وإنما يدرسوا ويوصوا بمتابعة الدراسات المتعاقبة ويتتبعوا الظواهر المتغيرة فى كل أوضاعها وفى جميع حالاتها، وبذلك كانوا سيتمكنون من كشف حركات التطور على مر العصور وفى مختلف البيئات(١).

ويرى المستشرق برجستراسر أن الذى منع علماء الشرق مع بذل الجهد من جهة النحو والصرف والمفردات عن الاعتناء الكافى بالكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام سببان مرتبطان أحدهما بالآخر :

١ - مداومتهم عن الجائز وضده.

٢ - والسبب الثانى اعتقادهم أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد فى الشعر القديم..(٢).

فلو أنهم رصدوا حركات التطور لأفادوا اللغة التى حاولوا المحافظة عليها بالإضافة إلى أنهم كانوا ربما اهتدوا إلى معرفة قوانين التطور وإلى تسخيرها لمصلحة اللغة التى نزل بها القرآن الكريم وبذلك يكون علاجهم

---

(١) إقرأ : مقدمة فى علم اللغة التاريخى.

(٢) أنظر : لحن العامة والتطور اللغوى. د. رمضان عبدالتواب ص ٣٠-٣١.

وإقرأ : العلاقة بين اللحن بمعنى الخطأ والتطور اللغوى.

لها علاجا مبنياً على أسس علمية(١).

وهذا بدوره كان ربما دفعهم إلى دراسة اللهجات الأخرى التى استبعدوها ربما كانوا سيتتبعون مظاهر التطور التى أصابها نتيجة اختلاطها بغيرها مما هو مجاور لها أو ممتزج بها أو متصارع معها. ودراسة حالات التطور ومراحله وتتبع ظواهر التغير فى الحالات المختلفة وعلى مر العصور وفى مختلف البيئات مما يقدم للغة علاجاً يستفيد من مراحل تطور اللغة دون أن يحاول قهر سننها.

وربما هداهم ذلك إلى دراسة كل مستوى لهجى على حدة.

فملاحظة الفرق بين كل لهجة وأخرى أمر كانوا قد أدركوه وأشاروا إليه. فقد توجد قبيلتان متجاورتان ولكن لكل لهجة ذات خصائص متميزة.

فالتحديد الزمانى الذى اتبعوه لم يكن دقيقاً كما ينبغى ولم يحقق الهدف من خدمة اللغة كما أرادوا.

كما أن التحديد المكانى لم يكن دقيقا ولم يحسنوا المنهج فى الاستفادة به.

فكان عليهم أن يدرسوا كل مستوى لهجى على حدة ولو تمعنوا فى الأمر لدرسوا لهجة كل قبيلة من القبائل التى حددوها دراسة مستقلة.

---

(١) عن قوانين التطور فى اللغة إقرأ : السابق من ص ٣٤ إلى ص ٥٩ وأنظر : مجالات التطور ونواحيه.

ومن بين هذه القوانين :

١ - قوانين صوتية وهى متعددة ما بين قانون المماثلة والمخالفة والقياس الخاطئ ونظرية السهولة والتيسير، وظاهرة القلب المكانى، وتغير نظام المقاطع، وتغير موضع البدء.

٢ - وقوانين تطور الدلالة.

٣ - والإعراب وترتيب الجمل.

وكان فى ذلك معين لا ينضب على فهم أساليب العربية وما فيها من أسرار، بالإضافة لفهم الفروق بين اللهجات على أسس علمية تسلم بها القواعد من الخلط. فقد خلطوا بين القبائل ولم يميزوا بين اللهجات فيما عدا القليل مما حكوه عن قبيلة أو أخرى مما هو أكثر علاقة بتفاصيل الموضوعات منه بأسسها(١).

فاضطرهم ذلك فى كثير من الحالات إلى التأويل والتخريج الذى أظهر اللغة بمظهر الاضطراب.

على حين أننا نرى فى دراساتهم تسجيل بعض ظواهر الاختلاف بين القبائل التى حددوا لأنفسهم الأخذ عنها. فمثلا نجدهم يقولون :

إن الاستعمال بالألف مطلقاً لغة بنى كذا. وإن إعراب الأسماء الخمسة بالحركات لغة بنى فلان.

ومن الأمثلة :

تولى قتال المارقين بسيفه   وقد أسلماه مبعد وحميم

* * *

يلوموننى فى اشتراء النـــ   ـنخيل أهل فكلهم ألوم

فقد ذكر بعض النحاة أن هذه الشواهد قد جاءت بلهجة طيء، وقال بعضهم إنها لهجة ازدشئوءة الذين يأتون بالألف فى الفعل مع المثنى وبالواو مع الجمع للمذكر وبالنون مع الجمع للمؤنث(٢).

---

(١) دراسة نقدية فى النحو العربى، د. عبدالرحمن أيوب، ص ٤.

(٢) اللغة والنحو، د. حسن عون، ص ٦٠.

واقرأ : فى همع الهوامع على جمع الجوامع لجلال الدين السيوطى تعليق أحمد بن الأمين الشنقيطى فى كتابه الدرر اللوامع، ج١، ص ١٤١-١٤٢.

وإن كان الأستاذ حفنى ناصف يبرر لهم منهجهم هذا بأنهم لو جمعوا لغة كل حى من العرب على حدتها لتكرر العمل وطال الزمن حيث يقول :

«ولم ينظر نقلة اللغة إلى لغة كل قبيلة على حدتها بل جمعوا الألفاظ التى يتكلم بها كل القبائل التى عولوا على الأخذ عنها وجعلوها لغة واحدة مقابل اللغة الأعجمية ولا يخطئ المتكلم إلا إذا خرج عنها كلها فلفظ المدية لغة دوس (بطن من الأزد) ولفظ السكين لغة قريش فنقل الأئمة اللفظين وأباحوا لكل إنسان أن يتكلم بأيهما شاء ولو لم يوجد فى العرب من تكلم بهما معاً ومن هنا جاء الترادف فى اللغة والاشتراك اللفظى ولو جمعوا لغة كل حى من العرب على حدتها لتكرر العمل وطال الزمن.

ثم نظروا بعد ذلك إلى المفردات فما كان منها كثير الدوران على ألسنة العرب عدوه فصيحاً وما كان قليل الدوران على ألسنتهم عدوه عربياً وحشياً بعد استعماله مخلا بالفصاحة ولو كان معروفاً عند المخاطبين.

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق بأحوال أواخر الكلم وقواعد تتعلق بباقى أحوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير مضبوطا بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل من العربى ولا يقبل من المولد»(١).

وفى نص الأستاذ حفنى ناصف هذا عدة قضايا نبدى عليها ملاحظاتنا :

---

(١) الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية، ص ١٠-١١.

* أنهم خلطوا عند الجمع بين لغات كل القبائل ويبرر خلطهم هذا بأنهم لو جمعوا لغة كل حى من العرب على حدتها لتكرر العمل وطال الزمن.

وأرى ألا ضرر من أن يطول الزمن ولكن المهم أن تأتى النتائج صحيحة وتكون الدراسة دقيقة فتتم خدمة لغة القرآن الكريم ولا يحدث مثل هذا الخلط ويكون للسيف خمسين اسماً وللحجر سبعين وللناقة مائة وتمثل ظاهرة الترادف أو المشترك مشكلة لغوية ضررها أكثر من نفعها.

ثم ما الحكمة فى أن يخلط المتكلم بين الخصائص اللغوية لقبائل العرب هل فى هذا نفع للغة ؟! هل هو الدقة ؟!

* القضية الثانية حكمهم على الفصيح والغريب بكثرة دورانه على الألسنة، إنه حكم غير علمى.

فقد كان المفروض أن ما كان بلسان عربى أو بلغة قريش أو ورد فى نصوص أدبية عالية أى الذى يمثل اللغة النموذجية هو الفصيح.

أما أن يعرف الفصيح بكثرة دورانه على الألسنة فقد يكون لغة العامة، أو لغة قبائل غير قرشية.

وبناء على هذا ما عدوه غريباً كثيره قد لا يكون غريباً والدليل على ذلك وهو أمر يدعو للعجيب أن يكون فى القرآن غريب وفى الحديث غريب، وأن تؤلف المصنفات فى غريب القرآن وغريب الحديث.

* القضية الثالثة وهو أن يقبلوا من العربى ما لا يقبلوه من المولد فهو منهج غير دقيق فى طريقة الدرس والبحث.

المنهج الأمثل فى مثل هذه الحالات أن تدرس اللغة دراسة مستويات، فليعد العربى مستوى من مستويات الدراسة.

ويعد المولد مستوى آخر من مستويات الدراسة.

فلو اتبع مثل هذا المنهج فى الدراسة ودرست كل لهجة دراسة مستقلة ودرس كل مستوى من مستويات اللغة دراسة مستقلة لكان ذلك معيناً على فهم أساليب العربية وما فيها من أسرار، وكان ذلك أيضاً وسيلة للتفريق بين شعراء وأدباء كل بيئة.

بالإضافة إلى هذا فإن ذلك كان سيحدد طريقة الاستعمال فمستعمل للغة سوف يرتبط بمستوى معين من مستويات الأداء اللغوية. أما والحال هكذا فعلى حد تعبير حفنى ناصف «فأى لفظ نطقت به فأنت مصيب وأى استعمال جربت عليه فلست بمخطئ ما دمت لم تخرج عن المنقول..

وصرت بذلك بعيداً عن الخطأ واسع المجال فى النثر والنظم والتقلب فى الأساليب الإنشائية تصول وتجول وتتهم وتنجد على حسب ما يسمو إليه استعدادك وتصل إليه درجتك من الإطلاع. وتمكنك منه بضاعتك فلك أن تقول المدية كما تقول دوس وأن تقول السكين كما تقول قريش وأن تنطق كلمة (حيث) بتسع لغات، ولفظ ياربى بست لغات وتركيب بادئ بدء بثمانية عشر وجها، وأن ترفع الخبر وتنصبه فى نحو ما هذا بشرا. وأن تطلق الأسد على السبع والشجاع والعين على الباصرة والذهب والجاسوس وتصرح وتعمى حيث تحتاج لذلك، وتنقل إلى العربية كل ما فهمته من اللغات الأخرى».

لاشك أن مثل هذا الخلط فى المستويات اللغوية وبين اللهجات المختلفة لا يقره العرف اللغوى فضلا عن مجافاته لروح البحث العلمى ولك أن تتصور شخصاً يحدثك بعامية أهل مصر وبعامية المغرب والشام والعراق.. فى آن واحد دون أن يلتزم خصائص مستقلة للهجة واحدة يخلط بين خصائص كل واحدة فى حديث واحد كلمة من هنا وأخرى من هناك بمنهج نطق يختلف فى كل واحدة وبطريقة فى التركيب لا تتفق على نظام لغوى واحد وباستعمال مفردات من لهجات متنوعة قد لا يعرفها مخاطبك.. هل يمكنك متابعة حديثه وفهمه ؟!

أنه الخلط الذى لا تعترف به أية جماعة لغوية. ولا يقره أى منهج.

أما إذا استقام على طريقة لسان واحد وأجرى معك حديثه وإن كان مخالفاً لك فى اللهجة فهذا أمر معترف به ولا يرفضه أحد.

وإن حدثك هو بعينه فى كل مرة بلسان مخالفاً تماماً نفسه ولكنه متبعاً نظام لهجة معينة بكل خصائصها فهذا أمر مسلم به، كذلك إن حاكى إنسان مستويات متعددة فى حديث لغوى وكل مستوى بخصائصه فهذا يعتبر مقدرة منه تدفع للإعجاب.

وإن تعدد مستويات اللغة وتعدد اللهجات أمر من طبيعة اللغات قديمها وحديثها ودراسة اللهجة والاهتمام بالمستويات اللغوية لا يغض من شأن اللغة وقدحرص الدارسون المحدثون على جمع اللهجات المختلفة وجعلوا ذلك أساساً لدراسة اللغات الأصل ومعرفة الظروف التى نشأت فيها ثم تطورت حتى أخذت لها مظهراً موحداً وأسلوباً عاماً(١).

---

(١) اللغة والنحو، د. حسن عون، ص ٤٧ وما بعدها.

وقد ترسم علماء اليونانية هذه الخطوات فاهتدوا إلى نتائج هامة بالنسبة للغتهم. وكان اهتمام الباحثين فى اللاتينية مماثلا لإهتمام الباحثين فى اللغة اليونانية(١).

وفى العصر الحديث أخذ العلماء فى دراسة اللغات الحديثة وآثارها بنفس الطريقة التى درست بها اللغات القديمة واستطاعوا ملاحظة كثيراً من الفروق بين الأدباء المختلفين باختلاف البيئات واللهجات.. وإن ما تمتاز به اللغة الفرنسية الآن من ثروة فى المفردات وسهولة فى التعبيرات ورقة فى الأداء مرجعه إلى دراسة لهجاتها المتعددة، ثم إبقائها على كثير من مزايا هذه الأساليب وتلك اللهجات(٢).

ولهذا السبب نجد الدعوة قوية لدراسة اللهجات العربية الحديثة(٣).

ويرى عالم لغوى محدث أننا يجب ألا نيأس من إعادة دراسة اللهجات العربية القديمة، وعلينا أن نقوم :

بتجميع خيوط هذه اللهجات القديمة من بطون الكتب اللغوية القديمة. ومن قراءات القرآن الكريم ومن خلال دراسة النصوص الأدبية، ومن ثنايا كتب النحو. ففى الغالب أن ما يطالعنا من شذوذ قد يكون سره اللهجات العربية الأخرى.

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) أنظر : د. إبراهيم أنيس فى مستقبل اللغة العربية المشتركة.

وأنظر فى اللهجات العربية :

وهذا ما يوليه مجمع اللغة العربية القاهرى عناية قصوى. وبه لجنة لدراسة اللهجات العربية الحديثة تضم نخبة من فطاحل اللغويين المحدثين.

وعلينا أن نقوم بجمع ما يمكن مهما قل وتقوم بدراسته ومن الخيوط البسيطة الواهية يتكون الحبل القوى المتين(١).

بل إن الأستاذ حفنى ناصف يرى أن تطبيق دراسة اللهجات العامية على لغات العرب سوف يكون له أطيب الأثر فى مجال البحث حيث يقول : «وتيقنت إمكان فتح الكنوز المرصودة بأن تطبق جميع مواد الاختلاف الشائعة فى اللغات العامية على ما يماثلها من لغات العرب الصحيحة وينسب كل من يتكلم بطريقة إلى أصحابها وحينئذ يمكن لأصحاب الأنساب المجهولة فى مصر والشام والمغرب والسودان والعراق وسائر الممالك التى افتتحها العرب أن يعلموا إلى من ينتسبون وبمن يرتبطون سواء فى ذلك ارتباط النسب وارتباط الولاء والمحالفة.. ويمكن أيضاً للقبائل المتفرقة فى أقطار مختلفة إذا كانت طريقة كلامهم متحدة أن يعلموا أن لهم أصلا واحداً يجمعهم ويؤول إليه انتماؤهم(٢)».

ودعوة حفنى ناصف هذه إلى دراسة العاميات تستوجب بدورها دراسة اللهجات العربية القديمة لأنه يريد أن يرجع اللهجات القائمة الآن إلى أصول تاريخية قديمة.

وفى هذا جانبان أحدهما صحيح،وهو أنه قد توجد بعض خصائص هذه الهجات العربية القديمة فى اللهجات العامية الحاضرة. أما بقية الخصائص فقد أصابتها عوامل التطور خضوعاً لسنن اللغات فى التطور والتأثر بالبيئات المختلفة والأزمنة ومستحدثات الحياة فيها.

---

(١) د. حسن عون اللغة والنحو ص ٤٧.

(٢) من كتاب مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك، ص ٤-٥.

وقد قام الأستاذ حفنى ناصف فى هذا الكتاب بجهد مشكور وقدم مطالب تسعة فى خصائص بعض لغات العرب وقام بتطبيقها على العامية المصرية، أنظر السابق إلى ص ٤٤. =

فدعوة حفنى ناصف ذات شقين :

دراسة الهجات العربية القديمة. ودراسة اللهجات العامية فى الأقاليم الناطقة بالعربية فى كل العالم العربى. حيث يقول :

«ويجب على من يخوض عباب هذا الموضوع ويوفيه حقه من البحث ليصل إلى النتائج التى نوهنا بذكرها أن يشبع القول فى بابين عظيمين هما دعامتا هذا الموضوع اللتان لا يقوم بناؤه إلا بهما :

١ - ذكر الأشياء التى انفردت بالتكلم بها شعوب مخصوصة من العرب وامتازت بذلك لغتهم عن اللغة الشائعة بين أحيائهم»(١).

٢ - ذكر الفروق التى توجد فى اللغة العامية ويحصل بها امتياز قوم عن قوم وهذه الفروق كما لا يخفى على من يلقى سمعه إليها عظيمة جداً.

(أى دراسة الخصائص المميزة للهجات العامية فى كل إقليم على حدة)

وعندى أن خير ما فى هذه الدعوة هو تطبيق اللهجات العامية على اللهجات العربية وذلك لا يكون إلا بعد الدراسة الوصفية الكاملة.

ثم استخدام المنهج اللغوى المقارن فى الدراسات (Comparative Linguistics Method).

ويرى لغويون محدثون أن علماء العربية لو أنهم فطنوا إلى ضرورة الوصل بين العربية وأخواتها الساميات لاهتدوا إلى كثير من المسائل

= وقد قام العلامة المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا بمحاولة مشكورة جمع فيها خيوط متفرقة من مراجع مختلفة، وقدمها فى كتيب تحت عنوان «لهجات العرب» ذكر فيه بعض الخصائص المميزة لبعض اللهجات العامية (المكتبة الثقافية ٢٩٠) الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(١) السابق، ص ٥-٦.

الهامة. ولأوصلتهم هذه الدراسات إلى آفاق رحبة خصبة النتائج فى علم اللغة(١).

ويعلل باحث لغوى إلى أن الذى جعلهم يتغافلون عن هذه الصلة على الرغم من أنهم كثيراً ما يشيرون إلى أسماء لبعض اللغات السامية كالسريانية والعبرية.. فقد عرف العرب اليهود والسريان واتصلوا بهم أمران :

أولهما : أن الذين دعموا أصول النحو وعلى رأسهم سيبويه كانت لغتهم الأولى فارسية وهى تختلف عن مجموعة اللغات السامية فى أبنيتها وألفاظها وتراكيبها ثم سار النحاة من بعده على نهجه.

وثانيهما : أن العبرية لغة يهود والسريانية لغة نصارى وصائبة والحبشية لغات نصارى وعبدة أصنام، واللغات الأشورية والبابلية لغات سحيقة فى القدم لكنها لغة عبدة أصنام وكواكب، فهذه اللغات عندهم لغات مرذولة نجسة نطقت بها ألسنة الكفار(٢).

وهذا تعليل مقبول إلى حد ما. أما حقيقة الأمر كما أرى فهى أنهم كانوا منصرفين بالدرجة الأولى إلى المحافظة على لغة القرآن.

وأن المناهج التى كانت بين أيديهم محدودة فالدراسات اللغوية المقارنة فى حاجة إلى تقدم منهجى وإلى مرحلة من النضج تعقب تلك المرحلة التى ابتدءوا بها عملهم.

---

(١) الدكتور رمضان عبدالتواب في كتابه لحن العامة والتطور اللغوى.

والدكتور عبدالمجيد عابدين فى كتابه المدخل إلى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية.

أنظر : ص٢١.

(٢) د. عبدالمجيد عابدين (السابق) إقرأ : صفحات ٢١، ٢٢، ٢٣.

وفى كل هذا ما يؤكد أصالتهم واجتهاداتهم التى كان باعثها الصدق فى العمل والإخلاص فيه ابتغاء الحق ولوجه الله.

فقد نشئوا منذ فجر الإسلام يجمعون اللغة ورواياتها ويمحصون نصوصها ويخضعونها لطرائق الاستقراء ليخرجوا منها بقواعد وقوانين تجعل من السهل محاكاة العرب فى كلامهم والتزام طرائقهم فى فنون القول فأصابوا فى كثير من الحالات وأخطئوا فى بعض الحالات ولهم فى كل الحالات أجر المجتهدين.

الفصل الثالث

اللغــة والمنطـق

اللغــة والمنطــق

إن وظيفة اللغوى وصف الحقائق لا فرض القواعد(١) وقد سدى إلى تلك الوظيفة علماؤنا منذ البداية. «إذ نشئوا منذ فجر الإسلام يجمعون اللغة ورواياتها ويمحصون نصوصها كل التمحيص ويخضعونها لطريق الاستقراء ليخرجوا منها بما يسمونه سنن العرب فى كلامها»(٢).

فقد كان عملهم القراءة أولاً، واستنباط الأحكام من المادة اللغوية الموجودة بين أيديهم بعد ذلك(٣). فقد اعتمدوا على الرواية كما اعتمدت عليها بقية المعارف الدينية الإسلامية، واعتمد عليها رواة الشعر والنسابون، وأصحاب الأخبار مما يتصل بأيام العرب وحياتهم وحياة أبطالهم.

وهكذا بدأ علماء العربية بداية طيبة وفق منهج يعتمد على الوصف دون تدخل بتعديل أوتعليل استمع إلى رد الكسائى حين سئل عن شذوذ أى الموصولة فى استعمالها عن سائر أخواتها الموصولات فقال : أى كذا خلقت(٤).

---

(١) Arnold Smith Gramm and the Use af Wards .

(٢) دراسات فى فقه اللغة، د. صبحى الصالح، ص ١٢-١٣.

(٣) إقرأ : تفصيلات هذا المنهج وتوضيحاً له فى كتاب مدرسة الكوفة ومنهجها فى اللغة والنحو د. مهدى المخزومى.

(٤) شرح الرضى على الكافية، ج٢، ص٤١.

الطاعة المستفادة من منهج القراءة لم تدع مجالا لتعليل عقلى. فمنهج القراء : إقرأوا كما قرأ أولوكم.

أنظر : ص ٣٥٠ من كتاب غاية النهاية لإبن الجزرى.

وكما قال الدانى : إن أئمة القراءة «لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية، إذا ثبتت عندهم لم يردها قياس عربية ولا نشر لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها». ((النشر، ج١، ص ١٠).

فقد كان هذا منهج الشيوخ المتقدمين الذى اتبعه علماء المصريين معاً فقد اشتركت البصرة والكوفة فى القراءة والإقراء ووجد فيهما شيوخ للإقراء كما اشتركنا معاً فى رواية الشعر واللغة ووجد فيهما نقدة شعر ومصححو لغة، واشتركنا فى دراسة الأحكام رواية واستنباطاً وبحثاً فى علل التأليف واستخراج قواعد اللغة وأصولها.

ولكنه كان من الطبيعى أن يتأثر الفكر اللغوى العربى بالمنطق اليونانى بعد الاحتكاك الثقافى فقد كان لترجمة منطق أرسطو للغة العربية(١) أثر كبير خاصة فى نحاة البصرة إلى حد أن «سمى نحاة البصرة أهل المنطق»(٢) وكان من الطبيعى أيضاً أن يتأثر منهج البحث فى اللغة بالمنهج المنطقى بعد احتكاك الثقافتين ومثل هذا التأثر لا يعد نقلا وإنما هو روح يسرى فى الفكر لابد منه لا مِنّةَ فيه ولا فضل لأحد على أحد.

وإن مفكرين من أمم أخرى قد أعجبوا بمنطق أرسطو وحاولوا صب لغاتهم فى قوالبه(٣).

فلا عجب إذا انتقلت عدوى التفكير الأرسطاليسى الذى يخلط بين الدراسات اللغوية والدراسات المنطقية إلى العربية ودراساتها. وأن يتأثر النحو العربى بعلل المنطق وأقبسته وأن يدخلها فى بحوثه ودراساته(٤).

فقد اعتبروا أصول اللغة لها من العموم والشمول مثل ما لأصول

---

(١) ترجمه عن اليونانية أو الفارسية عبدالله بن المقفع أو ابنه محمد بن عبدالله بن المقفع.

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص ٣٨.

(٣) أسرار اللغة : دكتور إبراهيم أنيس، إقرأ ص ٦٣.

(٤) مناهج البحث فى اللغة، د. تمام حسان، إقرأ ص ١٧.

المنطق من العموم والشمول(١).

واليونانيون يردون كل شئ إلى المنطق(٢).

وهم لم يدرسوا سوى لغتهم ولكنهم سلموا بأن بنية لغتهم تجسم الصورة العامة للتفكير الإنسانى، أو ربما تجسم الصور العامة للنظام الكونى بأسره، وملاحظاتهم النحوية محدودة بلغتهم، ومقررة فى صور فلسفية وتبلغ كما لها فى نحو ديونيزيوس تراكس Dionysius Throrx (القرن الثانى قبل الميلادى) وكذلك فى نحو أبولونيوس ديسكولوس Abollonius Dyscolus (القرن الثانى بعد الميلاد).

والصفة الغالبة على النحو اليونانى هى الكشف عن قواعد تميز صواب الكلام من خطئه. ثم فرض هذه القواعد فهو نحو تقعيدى تعليمى. فليست الملاحظة الموضوعية الخالصة هى الغالبة فى النحو اليونانى بل الرغبة فى التوفيق بكل وسيلة ممكنة بين اللغة والمنطق، ووضع كلمات اللغة وتعبيراتها فى قوالب تيسر تعلمها فالنحو اليونانى منطقى تربوى(٣).

وقد تأثر الفكر اللغوى بصفة عامة فى التراث الإسلامى بهذه المبادئ فاصطنع المنطق، واتخذ من القياس والتأويل أداتين لتفسير اللغة، وتحول عمل اللغويين فى بعض الحالات إلى فرض أنظمة لغوية، وكان ذلك لما سبق من ناحية، ورد فعل من النحاة من ناحية ثانية، فقد أتهم النحو باللفظية على

---

(١) مدرسة الكوفة ومنهجها فى اللغة والنحو، ص ٣٩.

وإقرأ : مدرسة الكوفة وإتجاهاتها فى المحافظة على المنهج اللغوى والمقارنة بينها وبين إتجاه منهج البصرة (السابق) ص ٦٨.

(٢) علم اللغة (مقدمة) ص ٣٤٨.

(٣) Bloomfield language . وأنظر : علم اللغة مقدمة ص ٣٥٠ .

ألسنة المتعصبين للمنطق اليونانى الزارين على لغة العرب التى كان النحو عنوانها وجوهرها وكانت تلك القضايا مثار مناقشات بين النحاة والمناطقة ومن أمثلة ذلك ما كان بين أبى بشر متى بن يونس وأبى سعيد السيرافى(١).

فحاول النحاة بيان أن الأولوية فى العربية للمعنى لا للفظ يقول السيرافى «إن النحو من شأنه مراعاة المعانى قبل مراعاة الألفاظ»(٢) ويجعل ابن جنى كذلك الأولوية للمعنى على الإعراب فيقول: «فإن أمكنك تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تركت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححت طريق الإعراب(٣).

ولا عيب فى المبادئ عادة ولكن العيب فى الإسراف فى تطبيقها فقد أرادوا لقواعد اللغة دقة قواعد المنطق وعمومها وشمولها وهذا ما لايمكن أن يكون لأن للغة منطقها الخاص بها. أو الذى لا يطرد على قاعدة - كما أن لكل لغة منطق خاص بها تختلف فيه عن غيرها وعلى سبيل التمثيل «لو كان التطابق بين اللغة والواقع لازما لاتفقت اللغات جميعاً فى تقسيم الأسماء من حيث الجنس ولكن نجد أن من اللغات كالعربية ما يكتفى بتقسيم الإسم من حيث الجنس قسمة ثنائية ليس غير إلى مذكر ومؤنث، ومنها كاليونانية ما يقسمه قسمة ثلاثية إلى مذكر ومؤنث ومحايد، كما نجد أن أسماء الذوات لا تتطابق فى اللغات جميعاً

---

(١) أنظر: الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص ١٠٨.
واقرأ: المقايسات لأبى حيان التوحيدى، ص ٧٥.

(٢) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ٣٥٨.

(٣) الخصائص لابن جنى، ص ٢٩٢.

من حيث الجنس، وأوضح مثال على ذلك القمر والشمس فالقمر مذكر فى العربية مؤنث فى الفرنسية والشمس مؤنثة فى العربية مذكرة فى الفرنسية»(١).

فالجنس اللغوى يجرى على منطق خاص به وهو لا يطابق الجنس فى الواقع الطبيعى(٢) وهذا مثل يشير إلى ظاهرة واحدة من ظواهر اللغة المتعددة المتنوعة بتنوع اللغات واختلافها والمعول فى الدراسة اللغوية على اللغة والعمل نابع من اللغة وعلى ما يؤديه الكلام من دور وعلى الشكل الذى تتخذه الكلمات فيما بينها ؟

ولكن علماء العربية الأوائل بعد أن وضعوا قواعدهم عز عليهم أن يجدوا شيئاً يخرج عنها فقد أرادوا لها العموم والشمول ومن خالفها يؤول أو يشذذ.

أو لأن استقراءاتهم لم تكن كاملة، وربما جاءت بعض قواعدهم سريعة مما اضطرهم للتأويل أو التشذيذ أو حتى الإهمال لبعض النصوص والشواهد الصحيحة»(٣).

من هنا رأيناهم يخطئون نصوصاً صحيحة معتبرة عند أصحاب القراءات ومعلوم أن أئمة القراء كما قال الدانى : «لا تعمل فى من شئ حروف القرآن على الأفشى فى اللغة أو الأقيس وإنما على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية.. فالقراءة سنة يلزم قبولها والمصير إليها»(٤).

---

(١) علم اللغة (مقدمة)، ص ٨١.

(٢) بمناسبة الحديث عن الجنس نشير إلى أن اللغويين المحدثين أوصوا بالإهتمام به فيلومفيلد يوصى لغوى المستقبل بالمقارنة بين الفصائل النحوية الخاصة باللغات المختلفة...

أنظر : Bloomfield Language P. 270. كما يدعو جون ب. كارول إلى مثل هذا فيقول : «إن تحديد الفصائل النحوية التى تستعملها لغة ما خطوة هامة فى الدراسة اللغوية الوصفية».
John B. Carroll; The Study of Language. P. 42.

(٣) أنظر : مقدمة اللغة والنحو للأستاذ عباس حسن.

(٤) النشر لإبن الجزرى، ج١، ص ١٠.

ومن الأمثلة على ذلك : «القاعدة النحوية تقول إن المد إذا كان أصلياً امتنع قلبه همزة» مثل : معايب، ومعاون. فلا يقال معائب ومعائن فلما قرأ نافع مقرئ أهل المدينة قوله تعالى : ﴿لهم فيها معائش﴾ خطئوه علماً بأنه أحد القراء السبعة.

وصنعوا ذلك أيضاً مع حمزة بن حبيب الزيات مقرئ أهل الكوفة وأحد القراء السبعة عندما قرأ : ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامِ﴾ بكسر الميم. اعتبروا ذلك خطأ لأن القاعدة النحوية التى وضعوها : «لا تجيز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار إلا فى ضرورة قبيحة» كما قالوا.

وصنعوا مثل ذلك عندما قرأ عبدالله بن عامر مقرئ أهل الشام. ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادَهم شركائِهم﴾ بنصيب أولادهم وجر شركائهم اعتبروا ذلك خطأ لأن القاعدة النحوية لا تجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا فى ضرورة الشعر.

فتحول عمل النحاة إلى سلطة تحل وتحرم وتفرض نوعاً من النظام على اللغة وصار النحاة أصحاب الكلمة العليا على الناطقين باللغة. وقد دار بين الخليل بن أحمد ومحمد بن مناذر الشاعر البصرى كلام فقال له الخليل : «إنما أنتم معشر الشعراء تبع لى وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم»(١) كما احتج سيبويه ببعض شعر لبشار تقرباً إليه لأنه كان قد هجاه لتركه الاحتجاج بشعره(٢).

فبعد أن وضعوا قواعدهم على ما توصوا إليه من لغات جمعوها

---

(١) إقرأ : الموشح للمرزبانى. وإقرأ الأغانى، ج ١٧، ص ١٦.

(٢) خزانة الأدب، ج١ ، ص ٨. والموشح للمرزبانى.

جعلوها حججا ومردا للناطقين ولا يصح أن تخالف تلك القاعدة حتى إن جاءت المخالفة من قراءة قرآنية صحيحة يقول الفخر الرازى «وإذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى»(١).

كما يقول أيضاً فى عجب ودهشة : «وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كانت أولى»(٢).

ونعرض فى هذا الصدد الخلاف الآتى بين العلماء :

قال أبو شامة فى شرح الشاطبية(٣) : «قرأ حمزة والأرحام بالجر - قال الزجاج القراءة الجيدة نصب الأرحام أما الخفض فخطأ فى العربية، فإن إجماع النحويين، أنه يقبح أن يعطف باسم ظاهر على اسم مضمر فى حال الخفض إلا بإظهار الخافض».

وتعقبه أبو شامة فقال : «قال الزمخشرى فى كتاب الأحاجى فى قولهم : (لا أباك) اللام مقدرة منوية وإن حذفت فى اللفظ والذى شجعهم على حذفها شهرة مكانها، وأنه صار معلوماً لاستفاضة استعمالها فيه، وهو نوع من دلالة الحال التى لسانها أنطق من لسان المقال فحمل قراءة «تساءلون به والأرحام» عليه سديد.

وقال فى الكشاف(٤) : وينصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالأرحام.

---

(١) تفسير الفخر الرازى، ٣-١٩٣. والقراءات القرآنية، ١٣٠

(٢) تفسير الفخر الرازى، ٣-١٩٣. والقراءات واللهجات ١٣٠.

(٣) إبراز المعانى، ٢٨٣.

(٤) الكشاف، ج١ ، ص ٢٤١.

قال الفراء(١) حدثنى شريك بن عبدالله عن الأعمش عن إبراهيم قال :«والأرحام» خفض الأرحام قال : هو كقولهم أسألك بالله وبالرحم.

قال الزمخشرى فى المفصل : وقراء حمزة والأرحام بالجر ليست بتلك القوية. قال الشارح ابن يعيش(٢) : وأما قوله تعالى «واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام» بجر الأرحام فى قراءة حمزة فإن أكثر النحويين قد ضعف هذه القراءة نظراً إلى العطف على المضمر المخفوض، وقد رد أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد هذه القراءة. وقال : لا تحل القراءة بها، وهذا القول غير مرضى من أبى العباس لأنه قد رواها إمام ثقة ولا سبل إلى رد نقل الثقة مع أنه قد قرأتها جماعة من غير السبعة كابن مسعود وابن عباس والقاسم وإبراهيم النخعى والأعمش والحسن البصرى وقتادة ومجاهد وإذا صحت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها.

وحكى أبو نصر بن القشيرى(٣) رحمه الله فى تفسير كلام الزجاج، ثم قال : «ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين»، لأن القراءات التى قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبى ﷺ تواترا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شئ عن النبى ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبى ﷺ واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محذور، لا تقلد فيه أئمة اللغة والنحو ولعلهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن غيره أفصح منه فإنا لا ندعى أن كل القراءات على أرفع الدرجات من الفصاحة».

---

(١) إبراز المعانى، ص ٢٨٤.

(٢) شرح المفصل، ج٣، ص ٧٨.

(٣) إبراز المعانى، ص ٢٧٥.

واقرأ : القراءات واللهجات، د. عبدالوهاب حمودة، ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.

ولقد ضاق الخناق على البصريين والرضى بعد الترديد لما عساه أن يدافع به البصريون فلم ير بداً من أن يقول :«والظاهر أن حمزة جوز ذلك بناء على مذهب الكوفيين لأنه كوفى ولا تسلم تواتر القراءات السبع»(١).

وفى هـذا الدفـاع شـطط. ومـع ذلـك جنـح ابن مالـك إلى رأى الكوفيين فقال :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازماً قد جعلا

وليس عنـدى لازما إذا قد أبى فى النظم والنثر الصحيح مثبتا

ويعلق نحوى معاصر على هذا بقوله(٢) : «والواقع أن البصريين كانت محاولاتهم فى نقضها غير مجدية ومجردة عن النَّصَفَة. فقد تعسفوا غاية التعسف بما لا ترضاه العدالة ولا يستقيم فى المنطق».

أما عن صحة الفصل بين المتضايقين فى السعة بمنصوب المضاف مفعولا به أو ظرفاً أو بالقسم فقد جاء فى الألفية.

فصل مضاف شبه فعل ما نصب مفعـولا أو ظرفاً أو جزء لم يعـب

فصـل يمـين

واستشهد المتأخرون بقراءة ابن عامر هذه - أحد - السبعة. وقد ردها الزمخشرى الذى وافق البصريين.

وقال الصبان ولا عبرة بردها مع ثبوتها بالتواتر.. وقال : الحق مع الكوفيين.

---

(١) شرح الرضى على الكافية، عطف النسق.

(٢) الشيخ محمد الطنطاوى، نشأة النحو.

ولا يغيب عن بالنا أن هذه الأمثلة والشواهد التى خالفت قياس النحاة وجهدوا أنفسهم فى تأويلها وتخريجها قد تلقى أضواء على مسائل وأمور لغوية أخرى ذات أهمية :

فقد يتبين منها إلى أى مدى اختلفت طرق الأداء عند القبائل وما مدى اختلاف اللهجات .وما خصائص كل لهجة.

كما أنها تلقى ضوءاً على حالات الإعراب.. ومراحله..

كما أنها تكشف أمام الباحث فى تاريخ اللغة عن كيفية نشأة النحو، وما مراحله التى اجتازها حتى استوى ناضجاً.

وتكشف من ناحية أخرى عن مدى اطراد القواعد الإعرابية مع المنطق أو مخالفتها له.

والشئ الذى لا شك فيه أن اللغة العربية لم تنشأ ناضجة على ما هى عليه الآن، وإنما مرت بمراحل. وكذلك علامات الإعراب من حركات وحروف أيضاً مرت بمراحل مختلفة. يدلنا على هذا وذلك كله ما يطالعنا من شواهدخارجة أو شاذة (١).

وبذلك تعد هذه الشواهد علامات على طريق الدرس تفسر ما نراه من خروج على القواعد أو شذوذ تفسيراً علمياً.

أضف إلى ذلك أن مواضع استعمالها قد تكون جاءت لغرض دلالى فإن اختيار صيغة معينة قد يكون تطلبها موقف ما لغرض ما وذلك لما تحمله فى ثناياها من إيحاءات. وهذا أمر مبنى على الإحساس الفطرى، وهو مبدأ لغوى معترف به وهو ما يعبر عنه بمتطلبات الموقف أو احتياجات

---

(١) إقرأ : اللغة والنحو من ص ٥٧ إلى ص ٥٩ الدكتور حسن عون.

المسرح اللغوى، ولابد أن يتم التواءم بين الصحة الداخلية للأسلوب والصحة الخارجية له أى أن وجوده يعطى مستوى معيناً من الأداء يخدم الدلالة "At the level of Semantics" ويمكن على هذا الضوء أن توضع الظاهرة مكتملة عندما يقابلنا شاهد من هذا النوع.

فمثلا على ذلك الضوء يمكن تفسير ما جاء فى القرآن الكريم من مخاطبة الواحد بلفظ الإثنين. عندما يخاطب الله تبارك وتعالى مالك خازن النار بقوله تعالى : «أَلْقِيَا فى جَهَنَم كلَّ كفَّارٍ عنيد» .

وذلك يتتبع ظاهرة المثنى فى اللغة العربية وملاحظة مراحل تطورها ودراسة ما تعكسه النصوص من إيحاءات تخدم الدلالة وتربط بين الأثر النفسى والغرض الدلالى لظاهرة المثنى من خلال بحث لغوى تاريخى وقد يكون مقارنا لتلك الظاهرة فى العربية وأخواتها الساميات وسر استمرار هذه الظاهرة فى العربية مع اختفائها فى أخواتها وسبب استخدام الشعراء لها فى مقدماتهم الطللية(١) .

فمثل هذه الشواهد كان المفروض أنها تدفع إلى مجالات أخرى من الدراسة اللغوية ومازال الأمل مرجواً.

وظاهرة الجنس من الظواهر التى كان ينبغى أن تستلفت نظرهم فإن تذكير بعض الأسماء فى استعمالات لغوية بينما تؤنث هى نفسها فى استعمالات لغوية أخرى لابد أن وراء ذلك سبباً قد يكون مستوى معيناً من الدلالة هو الذى تطلب ذلك تطلبه اختلاف الموقف واحتياجات

---

(١) من نحو قول زمرئ القيس : قفا بنك من ذكرى حبيب ومنزل واستمرار استخدام الظاهرة حتى عند الشعراء المحدثين وغيرهم : يا صاحبى تقصيا....

المسرح اللغوى : فمثلا عندما يأتى استعمال الله تبارك وتعالى لكلمة السماء فى القرآن الكريم وتأتى المطابقة فى موقف تجعل كلمة السماء مؤنثة، وتأتى المطابقة فى موقف آخر تجعلها مذكراً لابد أن ذلك يحتاج من اللغوى تتبع الظاهرة فى كل حالاتها وفى جميع أوضاعها ومراحل تطورها فى مختلف اللهجات ومقارنة وضعها فى العربية مع وضعها فى أخواتها الساميات.

قال الله تعالى : ﴿السماء منفطر به﴾، ﴿إذا السماء انشقت﴾، ﴿إذا السماء انفطرت﴾.

ثم إن مثل هذه المخالفات تعتبر فى اللغات الأخرى قديماً وحديثاً بمثابة حلية تكسب الأساليب نوعاً من التأثير على النفس وتمنحها أبعاداً عميقة بما تحمله من وقع لغوى له أثره فى الموقف الذى اختير له وهو ما نعبر عنه حديثاً بتواءم الصحة الداخلية مع الصحة الخارجية للأساليب.

وكبار الكتاب فى اللغات الأخرى يلجأون إلى مثل هذا.

على نحو ما هو موجود عند فرجيل من شعراء اللاتين فى ملحمة الإبنيادة ونيتوس ليفوس المؤرخ فى تاريخه الرومانى. وارستوفان Aristphane وأوربيد Euripide من اليونانيين وبلوت Pleute ، وترانس Trance من اللاتين، وشكسبير Sheckespeare من الإنجليز وكورنى Gornoille ومولبير Molliere وراسين Racéne من الفرنسيين(١)

أضف إلى كل ما سبق أن اللغة بمثابة عملة يترك المتعامل عليها بعض انطباعاته وبصماته فهى تخضع للحالات النفسية والعضوية المختلفة

(١) إقرأ : تفصيلات عن هؤلاء فى اللغة والنحو، د. حسن عون.

باختلاف أفراد الجماعة اللغوية.

كما أن لقوة المتعامل بها ولحسن فهمه وللباقته ومقدرته على التصرف ولمكانته الاجتماعية التى يمثلها أثراً لا ينكر على اللغة، وعلى اللغوى ملاحظة ذلك ودراسته فهو من تمام العملية اللغوية.

لكل هذا لا يمكن أن تكون اللغة منطقية قياسية ولا ينبغى أن تكون كما حاول فرض ذلك النحاة على مظاهر اللغة دون مراعاة لأوضاعها أو لحالات استعمالها..

ولكن الذى حدث أن اتخذ النحاة من القياس والتأويل أداتين لتفسير اللغة وتطور الأمر معهم إلى أن صارتا أداتين لصنع اللغة. وإيجاد صور من التعبير لم يعرفها أصحاب اللغة أنفسهم.

فمثلا : أعلم التى تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل يجرى فيها التنازع على هذه الصورة :

«أعلمت وأعلما بينهما إياهما الزيدين العمرين منطلقين».

ويعلق ابن مضاء على هذه الصورة وأمثالها بأنها لا تجوز فى الكلام لأن العرب لم يستخدموها(١).

ويقول : إنهم يقدرون عوامل محذوفة لو أنها ظهرت لتغير مدلول الكلام(٢).

ومن الأمثلة أيضاً : ما يزعمه نحاة البصرة فى الفعل المضارع المنصوب بعد الفاء والواو من أنه ينصب بأن مضمرة، وتراهم بعد ذلك

(١) أنظر : كتاب الرد على النحاة، تحقيق د. شوقى ضيف، ص ٢٨-٢٩.

(٢) السابق.

يؤولون (أن) مع الفعل بالمصدر، ثم يصرفون الأفعال الواقعة قبل هذين الحرفين إلى مصادرهما ثم يعطفون المصادر على المصادر ففى مثل :

(ما تأتينا فتحدثنا) التقدير هكذا (ما يكون منك إتيان فحديث) وهذا التقدير لم يقصد إليه المتكلم لأنه قصد أحد معنيين :

«إما أنك لا تأتينا فكيف تحدثنا. وإما أنك لأتينا محدثا»(١).

فاللغة على هذه الصورة تحولت إلى أدوات عقلية وقوانين صارمة.. وصار النحاة أصحاب الكلمة العليا على الناطقين باللغة.

وتطالعنا فى كتاب سيبويه أمثلة متنوعة نتبين منها سلطان المنطق. فمن ذلك ما جاء فى حديثه عن المشغول عنه : «النصب عربى كثير والرفع أرجح»(٢).

ويتساءل باحثون محدثون : كيف يكون النصب كثيراً ويرجحه الرفع؟ ومن الواضح أن المرجح هو المنطق(٣).

ومثال آخر يعدونه مستقيما قبيحاً : «قد زيداً رأيت». والاستقامة هنا منطقية لا عملية(٤).

فقد تصور سيبويه أن الاستقامة درجات، وبذلك فتح الباب لمن يجئ بعده لكى يفترضوا الفروض، ويبحثوا مدى جواز الاستعمال. ومدى سلامة الاستعمالات الموجودة فعلا.

---

(١) السابق، ص ٢١-٢٢.

(٢) الكتاب لسيبويه، ج١، ص٨١.

(٣) الأستاذ إبراهيم مصطفى : إحياء النحو، ص ١٥٤.

(٤) دكتور مصطفى ناصف، ص ٣٩.

فالنحويون يفترضون الاستعمالات ويبينون صحتها(١).

ونجد مثل هذا الاتجاه عند عبدالقاهر الجرجانى على الرغم مما انتهى إليه من نظريات فى علم اللغة.

فقد افترض وجود استعمالات لغوية وحاول أن نطبق عليها المقاييس المنطقية العقلية ليرى مدى سلامتها وجواز استعمالها.

يقول مثلا : «فإن قلت فإنه قد يصح أن تقول : إنما جاءنى من بين القوم زيد وحده، وإنما أتانى من جملتهم عمرو فقط»(٢)...

كما يرى عبدالقاهر أن من الخطأ أن تقول :

أأنت قلت شعراً قط.

أأنت بنيت الدار التى كنت على أن تبنيها(٣).

وتعيلاته منطقية مبعثها افتراضات عقلية.

فإن كان هذا الأسلوب لم يرد على العرب فلا مجال لذكره.

وإن كان قد ورد فيما بعد فهو نوع من التطور فى الأساليب أوجده الناطقون فى مرحلة من المراحل.

كما يرى : أنك لو قلت :

أأنت بنيت الدار التى كنت على أن تبنيها؟

أأنت قلت الشعر الذى كان فى نفسك أن تقوله ؟

---

(١) السابق.

(٢) الدلائل، ص ٢٥٩.

(٣) أنظر : دلائل الإعجاز، ص ٨٧.

أأنت فرغت من الكتاب الذى كنت تكتبه ؟ خرجت من كلام الناس(١) ونتساءل أهذه الأساليب نطقتها ألسنة المتكلمين بالعربية؟

إن كان قد ورد عن الناطقين بالعربية هذا القول فهو من كلام الناس.

وإن كان لم يرد فلا داعى لافتراض ما لا يقال فليس من عمل اللغوى الافتراض أو الفرض.

كما يقول أيضاً : إن قلت :

أبنيت هذه الدار ؟

أقلت هذا الشعر ؟

أكتبت هذا الكتاب؟ قلت ما ليس بقول(٢).

ذلك لفساد أن تقول فى الشئ المشاهد الذى هو نصب عينيك أموجود أم لا(٣).

ويقول : إنك تقول : أقلت شعراً قط؟ أرأيت إنساناً اليوم؟

فيكون كلامك مستقيما. ولو قلت :

أأنت قلت شعراً قط؟ أأنت رأيت إنساناً أخطأت.

وذلك لأنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو فى مثل هذا. وذلك لأنه إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول :

من قال هذا الشعر؟ من بنى هذه الدار؟ ومن أتاك اليوم؟

---

(١) الدلائل، ص ٨٧.

(٢) السابق، ص ٨٧–٨٨.

(٣) السابق، ص ٨٨.

ومن أذن لك فى الذى فعلت؟ وما أشبه ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معين.

فأما قيل شعر على الجملة، ورؤية إنسان على الإطلاق. فمحال ذلك فيه(١).

فهل يفرض اللغوى على ألسنة المتكلمين وعقول السامعين ما يشاء من دقة الفكر وعمق التحليل.

إنه التأثير والتأثر خاصة بالمنطق العقلى ولا عيب فيه إلا مجافاته لطبيعة اللغة وروح البحث اللغوى.

ومعلوم أن اللغة مزيج من العاطفة والانفعال والعقل والوجدان..

«فلا تكاد توجد جملة مهما كان حظها من الابتذال لا تخالطها عناصر انفعالية»(٢).

كما أنه «من النادر جداً عندما تتسابق فى ذهننا ونحن فى صدد التعبير عن فكرة ما عدة عبارات مختلفة أن تكون إحدى هذه العبارات عقلية محضة وأن تعبر عن استدلال منطقى بحت أو أن تصور حقيقة حادث ما فى بساطته العارية من كل لباس»(٣).

وإن كان هذا يمكن أن يدخل فى مسار النحو التوليدى بمعنى أن قواعد اللغة يمكن أن تصير جهازا لتوليد جميع الجمل النحوية عن طريق وضع كل الاحتمالات الممكنة.

---

(١) السابق، ص ٨٨.

(٢) اللغة، فندريس، ص ١٨٤.

(٣) السابق، ص ١٨٣

هذا من ناحية التأثر بالاتجاه المنطقى العقلى البحت. أما من ناحية التأثر بالاتجاه التربوى. فقد طالعتنا محاولات الهدف منها تيسير النحو بقصد وضعه فى صور تيسر تعلمه ولهذا الاتجاه أبعاد مختلفة فى التراث بل إن الهدف من نظرية العامل فى أساسه هدف تعليمى(١).

ونكتفى فى هذا الصدد بعرض أبعاد من كتاب العوامل المائة لعبدالقاهر الجرجانى تتضح معها أبعاد المجالين معاً.

مع إلقاء ضوء تتحدد معه أبعاد منهج الدراسة.

نعرض تقاسيم عبدالقاهر لعوامله المائة ونبدى عليها بعض الملاحظات والتعليقات التى توضح ما نراه فى منهجه خاصة بما نحن بصدده :

أول شئ نراه قسم العوامل المائة ثلاثة أبواب :

١ - الباب الأول فى العامل.
٢ - الباب الثانى فى المعمول.
٣ - الباب الثالث فى العمل أو الإعراب.

فنظرية العامل عنده أطرافها ثابتة عامل ومعمول وعمل، أى مؤثر، ومتأثر، وأثر وهو إما ظاهر وإما مقدر.

فالعامل هو المؤثر فى المعمول وأثره تلك الحركة التى تظهر فى آخر المعمول. والمعمول هو الذى تتغير حركة آخره تبعاً لنوع العامل أو المؤثر الداخل عليه. وأما الأثر وهو الحركة الإعرابية فتكون ظاهرة فى المعرب ومقدرة فى المبنى وغيره(٢)..

---

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب عالم اللغة من ص ٥١ إلى ص ٥٥، ومن ص ١٥١ إلى ص ١٥٨.

(٢) التفسير الذى وضعه الدكتور على أبو المكارم لنظرية العامل بينه وبين أفكار عبدالقاهر تشابه كبير. إقرأ : الظواهر اللغوية فى التراث النحوى من ص ١٨٩ إلى ص ١٩١.

يقول عبدالقاهر : وأعلم أنه لابد لكل طالب معرفة الإعراب من معرفة مائة شئ ستون تسمى عاملا، وثلاثون منها تسمى معمولا وعشرة منها تسمى عملا وإعراباً.

وقسمها أبواباً وجعل **الباب الأول** فى العامل وهو على ضربين :

* لفظى. * ومعنوى.

واللفظى على قسمين سماعى وقياسى. والسماعى تسعة وأربعون، وأنواعه خمسة. والقياسى تسعة. والمعنوى إثنان.

والباب الثانى فى المعمول. وهو على ضربين معمول بالأصالة، ومعمول بالتبعية زى إعرابه يكون مثل إعراب متبوعه.

والضرب الأول أربعة أنواع : مرفوع، ومنصوب، ومجرور وهو مختص بالإسم، ومجزوم وهو مختص بالفعل.

أما المرفوع تسعة :

١ – الفاعل. ٢ – نائب الفاعل.
٣ – المبتدأ. ٤ – الخبر.
٥ – إسم باب كان وأخواته. ٦ – خبر باب إن.
٧ – خبر لا لنفى الجنس. ٨ – إسم ما ولا المشبهتين بليس.
٩ – الفعل المضارع الخالى عن النواصب والجوازم.

أما المنصوب فثلاثة عشر :

١ – المفعول المطلق. ٢ – المفعول به.
٣ – المفعول فيه. ٤ – المفعول له.

٥ - المفعول معه. ٦ - الحــال.

٧ - التمــييز. ٨ - المســتثنى.

٩ - خبر باب كان. ١٠- إسم باب إن.

١١- إسم لا لنفى الجنس. ١٢- خبر ما ولا المشبهتين بليس.

١٣- المضارع الذى دخله إحدى النواصب.

أما المجرور فإثنان :

١ - المجرور بحرف الجر. ٢ - المجرور بالإضافة.

والضرب الثانى خمسة :

١ - الصفـــة. ٢ - العطف بإحدى الحروف العشرة.

٣ - التـأكيـد. ٤ - البـــدل.

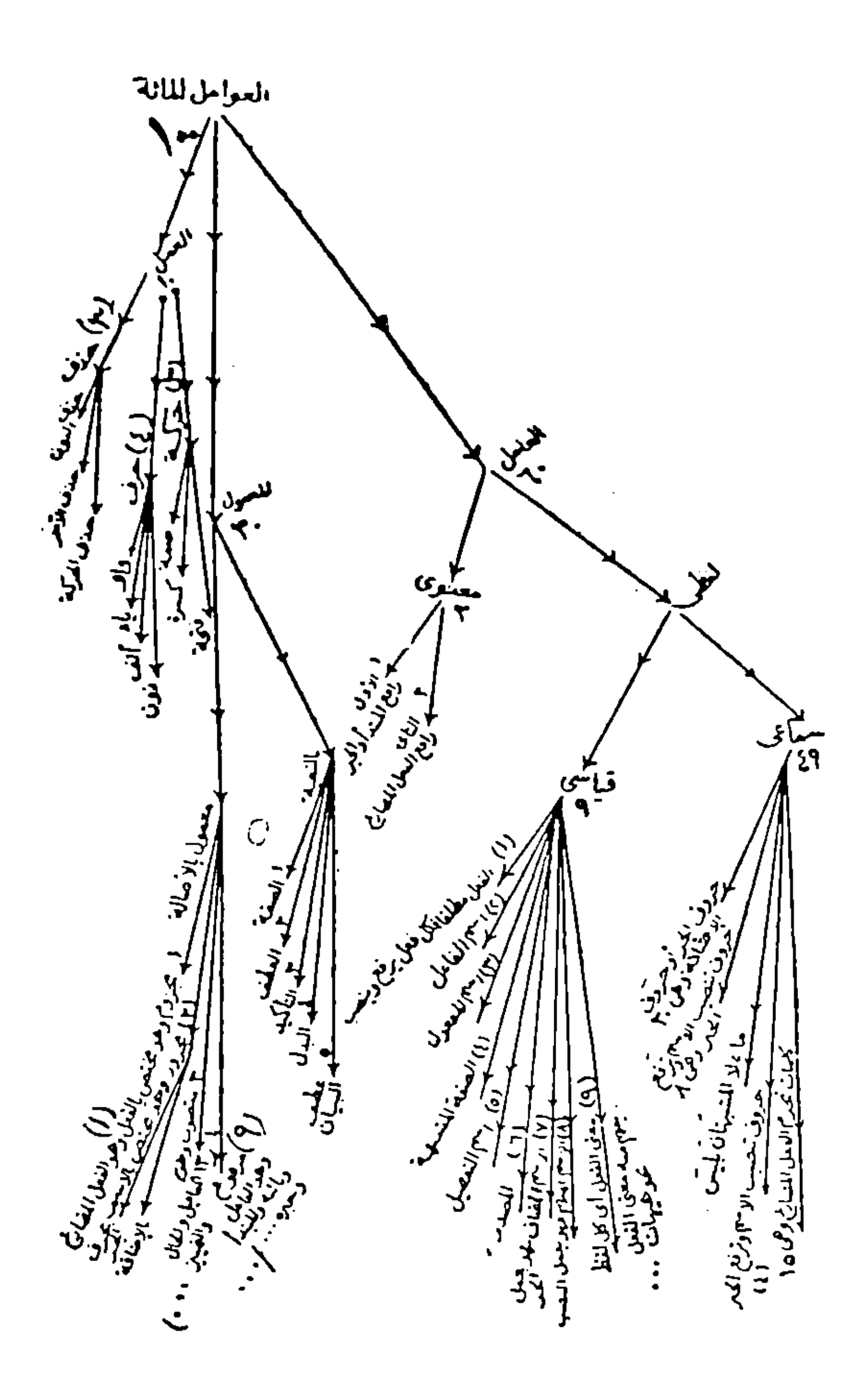
٥ - عطف البيـــان.

الباب الثالث في الإعراب : وهو إما حركة أو حرف. أو حذف. والحركة ثلاثة : ضمة وفتحة وكسرة. والحرف أربعة : واو وياء وألف ونون.

والحذف ثلاثة : مختص بالفعل حذف الحركة وحذف الآخر، وحذف النون. فالجملة عشرة .../ ...

ثم إن الإعراب إن ظهر فى اللفظ يسمى لفظيا. وإن لم يظهر فى اللفظ بل قدر فى آخره يسمى تقديريا. وإن لم يظهر ولم يقدر فى آخره يسمى محليا.

ونلاحظ على هذا التقسيم أنه جاء فى تسلسل بارع ودقة محكمة فى التقسيم والتنظيم وهو أثر لطول النظر والفهم العميق كما أنه ينبئ عن ترتيب عقلى منطقى.


العوامل المائة
لفظى
معنوى
٢
قياسي
٩
سماعي
٤٩

كما أنه يوحى برغبة مخلصة فى تيسير النحو وتبسيطه ليسهل فهمه وتقبله على طالبه هذا من الناحية الشكلية العامة بالنسبة للمنهج.

أما من ناحية المحتوى والمضمون فهذا ما يوضحه العرض الآتى(١) :

الباب الأول فى العامل : وهى على ضربين لفظى ومعنوى. واللفظى على قسمين: سماعى وقياسى. والسماعى تسعة وأربعون وأنواعه خمسة :

١ - **النـوع الأول** : حروف تجر اسماً واحد فقط وتسمى حروف الجر وحروف الإضافة وهى عشرون :

الباء : أمنت بالله وبه لأبعثَنّ(٢).

من - إلى - عن - على - اللام - فى - الكاف.

حتى : أعبد الله حتى الموت.

رب : رب تالٍ يلعنه القرآن.

واو القسم - تاء القسم.

حاشا : هلك الناس حاشا العالمِ.

مذ : تبت من كل ذنب فعلته مذ يومِ البلوغ.

منذ : تجب الصلاة منذ يوم البلوغ.

خلا : هلاك العاملون خلا العاملِ بعلمه.

عدا : هلك العاملون عدا المخلص.

لولا : لولاك يارحمة الله لهلك الناس.

---

(١) أنظر : الرسم الموضح لتلخيص العوامل المائة عند عبدالقاهر كما يترا ءى لنا.

(٢) أمثلة عبدالقاهر ليست من الشواهد المأثورة وإنما هى بهدف توضيح فكرته وذات طابع أخلاقى تعليمى وقد أتيت بنفس شواهد فى الحالات التى أرى أنها فى حاجة لها.

كيمه : كيمه عصيت(١).

لعل فى بنى لغة عقيل : لعل الله تعالى يغفر ذنبى.

هذا منهج ذو طابع تعليمى بحت فهو لا يهتم بالدرجة الأولى إلا بأثر العامل فى المعمول فى حالة واحدة حالة الحركة الإعرابية قبل أن يهتم بترتيب الحروف وفقاً لما تحدثه فى التركيب من حيث الدلالة فبعض هذه الحروف تفيد الاستثناء وللنحاة فيها تخريجات مختلفة.

ولو تحاشوا الخلط بين اللهجات فى جمع المادة اللغوية لأراحوا واستراحوا ومما هو جدير بالتسجيل هنا أن عبدالقاهر على الرغم من أنه صاحب نظرة تجديدية فى الدراسات اللغوية إلا أنه وقع هنا تحت تأثير المنهج التقليدى بكل ما أخذ عليه(٢).

فهو هنا يخلط بين اللهجات خلطاً فمذ ومنذ هنا حروف جر، وحاشا وخلا وعدا، وكيمه، وحتى ولولا، ولعل فى لغة عقيل إن اختلاف النحاة حول عمل هذه الأدوات مبعثه المادة اللغوية التى جمعوها من القبائل دون تحديد كل لغة على حدة وهذا هو الخلط الذى تترتب عليه اضطراب القاعدة ولو أنه أعطى كل لغة ظاهرتها الخاصة بها ما رأينا مثل هذا الخلط والاضطراب فى القواعد.

---

(١) كى تجر ثلاثة أشياء : الأول ما الإستنهامية المستنهم بها عن علة الشئ نحو كيمه بمعنى له ؟ والثانى ما المصدرية مع صلتها كقوله : يراد الفتى كيما يضر وينفع. أى الضرر والنفع قاله الأخفش . وقيل ما كافة. الثالث أن المصدرية وصلتها نحو جئت كى أمر زيدا إذا قدرت أن بعدها فإن والفعل فى تأويل مصدر مجرور بها والدليل ظهورها فى قوله :

فقالت أكل الناس أصبحت مانحا ... لســـــانك كيما أن تغر وتخدعا

(٢) لهذا فنحن نعد هذا المؤلف فى المراحل الأولى من حياته العلمية وقبل استوائه فى العلم.

أن المصطلحات عنده متعددة فهو يسمى حروف الجر بحروف الإضافة أيضاً.. ونرى مصطلحات متنوعة فى مواضع متعددة.

وأن تبويبه وتنظيمه مبعثه التيسير على راغبى تعلم اللغة العربية وخاصة من أبناء اللغات غير العربية من فارسية وتركية وهندية وغيرها(١).

ثم نذكر **الثانى** عنده ونشفعه بالتعليق الذى يحدد أبعاد المنهج بكل ما سبق أن قلناه عنه :

٢ – والنوع الثانى حروف تنصب الإسم وترفع الخبر وهى ثمانية. منها ستة تسمى الحروف المشبهة بالفعل وهى : إن، أن، كأن ، لكن، ليت، لعل.

والسابع إلا فى الاستثناء المنقطع نحو «المعصية مبعدة عن الجنة إلا الطاعة مقربة منها» والثامن لا لنفى الجنس نحو : لا فاعل شر فائز.

منهجه واحد المصطلحات متعددة فهو يضيف إلى اسم الستة الأول اسم الحروف المشبهة بالفعل لأنها تعمل عمل الفعل فهى تعمل فى اسمين بعدها النصب والرفع، فالعبرة عنده بالأثر الإعرابى. ولذا فقد أتى بإلا فى الاستثناء المنقطع.

ونلاحظ هنا أيضاً أن عبدالقاهر لم يتحدث عن ظاهرة الاستثناء كظاهرة لها حالاتها المتعددة ولا عن ظاهرة لا النافية للجنس فى أوضاعها المختلفة.. وهدفه واضح إنه ييسر على طالبى معرفة العربية من غير أبنائها(٢).

٣ – أما **النوع الثالث** : حرفان ترفعان الإسم وتنصبان الخبر وهما : ما ولا المشبهتان بليس نحو : ما الله تعالى متمكنا بمكان.

---

(١) لذلك قد ترجم هذا الكتاب وصنوه كتاب الجمل إلى هذه اللغات.

(٢) قد حقق غرضه هذا ومازال جديراً بتحقيقه فى كل عصر.

ولا شئ مشابها لله تعالى.

والخلط هنا بين اللهجات التميمية والحجازية واضح وسببه الخلط عند جمع المادة فقد اعتبرت كل اللهجات لهجة واحدة.

٤ - **والنوع الرابع** : حروف تنصب الفعل المضارع وهى أربعة :

أن ، لن ، كى ، إذن ، نحو قولك إذن تدخل الجنة، لمن قال : أطيع الله تعالى. فهو لم يذكر بقية أدوات نصب المضارع على اعتبار أن النصب بأن المضمرة إما وجوباً وإما جوازاً ونلاحظ هنا أنه يتبع اتجاه النحاة التقليدى من حيث تقدير العوامل وإضمارها وهو لم يتساءل كيف يكون الإضمار وجوبا ويعمل انه إتجاه متبع فليس التقدير من عمل الباحث فى الظواهر اللغوية بل عليه أن يصف الظاهرة كما يراها ويأخذ منها ما يعن له من استنتاجات دون أن يتدخل بتأويل أو تقدير أو فرض.

٥ - **النوع الخامس** : كلمات تجزم الفعل المضارع وهى خمسة عشر :

لم ، لمّا ، لام الأمر ، لا فى النهى، وهذه الأربعة تجزم فعلا واحداً. إن، مهما ، ما ، من ، أين ، متى أنّى ، أى ، حيثما ، إذ ما ، إذا ما، وهذه الإحدى عشر تجزم فعلين مسميين شرطاً وجزاء.

لم يلتفت عبدالقاهر هنا لنوع التركيب فهو لم يفرق بين البسيط والمركب مما جعلنى أرجح أن هذا العمل فى بداية حياته العلمية قبل أن يتوصل إلى نظريته فى علم التراكيب(١).

والقياسى تسعة : الفعل مطلقاً فكل فعل يرفع وينصب لا يفرق هنا بين فعل تام وفعل ناقص ولا بين لازم ولا متعد وإنما يعنيه جمع المادة

---

(١) أنظر : عالم اللغة.

بطريقة يسهل استيعابها. وعن طريق تمكنه وعمق فهمه يؤكد ما يرى :

نَزَل القرآنُ نزولا – هذا بالنسبة للازم – ويقول : ولابد لكل فعل من مرفوع فإن تم به كلام يسمى فعلا تاماً نحو علم الله تعالى. وإن لم يتم به كلام بل احتاج إلى خبر منصوب يسمى فعلا ناقصاً. نحو : كان الله تعالى عليماً حكيماً.

والثانى إسم الفاعل فهو يعمل عمل فعله المعلوم نحو كل حدود محرق جسده عمله.

والثالث : اسم المفعول فهو يعمل عمل فعله المجهول نحو كل تائب مقبول توبته.

والرابع : الصفة المشبهة فهى أيضاً تعمل عمل فعلها نحو : العبادة حَسَنٌ ثوابها. والمعصية قبيح عذابها.

والخامس : اسم التفضيل فهو يعمل عمل فعله نحو : ما من رجل أحسن فيه الحلم منه فى العالم.

والسادس : المصدر فهو أيضاً يعمل عمل فعله نحو : يحب الله تعالى إعطاء له عبده فقيراً درهما.

والسابع : الإسم المضاف فهذا يعمل الجر نحو : عبادة الله تعالى خير.

والثامن : الإسم المبهم التام فهو يعمل النصب نحو : التراويح عشرون ركعة.

والتاسع : معنى الفعل. أى كل لفظ يفهم منه معنى فعل نحو : هيهات المذنب من الله تعالى – وتراك ذنبا – ونحو : ما فى الدنيا راحة.

ونحو : ينبغى للعالم أن يكون مُحَمّديًا خلقه.

الواقع أننا نجد عند عبدالقاهر هنا أصالةوابتكاراً. فإن كل لفظ يفهم منه معنى الفعل فإنه يعمل عمل الفعل نحو : إسم الفعل السماعى مثل هيهات. والقياسى مثل تراك.

وما فإنه يفهم منه معنى الفعل ليس ومن هنا عملت عمل ليس (الفعل) وكذلك كلمة (محمدى) فهى إسم منسوب إليه ولكنه يفهم منها معنى الفعل المبنى للمجهول ولذلك عمل فى خلقه الرفع على أنه نائب فاعل فهنا تَمكّن وفهم وتتبع لظاهرة لغوية ووصف وتقعيد لها فى أصالة.

وكذلك قوله الاسم المبهم فهو يشمل التمييز فعبدالقاهر لديه حس الباحث اللغوى فى التقعيد للظاهرة ومتابعته لها ووصفه لها أيضا.

الفصل الرابع

الغلو فى خصائص العربية

الغُلُوّ فى خصائص العربية

تشريف للغة العربية ما بعده تشريف أن ينزل بها القرآن الكريم، بلسان عربى مبين، غير أن هذا جعل علماء العربية ينظرون إليها نظرة تقديس وإجلال ولا عيب فى هذا إلا ما جرّهُ عليهم من مغالاة أساءت إلى العربية فى كثير من الحالات.

فقد نظروا إلى ماعدا العربية على أنه رطانات واهملوا دراسته ففوتوا على العربية نفعاً كبيراً كان يمكن أن تناله لو أنهم درسوا اللغات المحيطة بها والمتصارعة معها أو أخواتها الساميات بالإضافة إلى أنهم أهملوا لهجات القبائل العربية التى تتصل بأى منها(١).

بل وحرموا على أنفسهم القياس فما جاء : «ليس لنا اليوم أن يخترع ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه لأن فى ذلك فساد اللغة، وبطلان حقائقها، ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن»(٢) ودعاهم ذلك إلى الوقوف فى وجه التطور اللغوى، وفوتوا على أنفسهم دراسة تاريخ اللغة فى مراحلها المتعاقبة، ولا يستطيع اللغوى أن يتحكم فى اللغة بقوانين ضد سننها يفرضها عليها خارجة عن طبيعتها، واللغة أداة مرنة مطواع تتفاعل مع حاجات الجماعة اللغوية المتعاملة بها وتعبر بألفاظها الدقيقة الموحية عن حاجاتهم مهما تشعبت.

(١) وأصدروا أحكاماً غير مدروسة فقالوا :«إن العربية أوسع اللغات وأشرفها وأفضلها» (أنظر : الصاحبى لإبن فارس) كما جاء مثلا فى الصاحبى أيضاً وهو بمعرض الرد على دعوى أن للأعاجم شعرا: «بل الشعر شعر العرب ديوانهم وحافظ مآثرهم ومقيد أحسابهم». وجاء أيضاً : «إن العرب قرأوا شعر الأعاجم فوجدوه قليل الماء نزر الحلاوة غير مستقيم الوزن» (الصاحبى، ص ٤٠، طبعة بيروت).

(٢) الصاحبى لإبن فارس؛ والفهرست لإبن النديم.

واقرأ : ما كتبه إبن النديم من أن العرب امتنعوا عن الزيادة فى اللغة بعد بعث النبى صلى الله عليه وسلم.

ولأن العربية هى لغة الوحى الإلهى دفع ذلك بعض علمائها إلى العلو فى خصائصها فعلى نحو ما صنع اليونانيون حيث خصوا لغتهم بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها فقد حاول ذلك بعض علماء العربية، وإن كان من بين علماء العربية من رأى رأيا علمياً دقيقاً وعالج الأمر فى موضوعية بعيدة عن الهوى.

ناقش أفلاطون فى محاوراته المسماة (Cratyllus) أصل الكلمات وناقش العلاقة بين الكلمات والأشياء التى تسميها وبحث عن طبيعة تلك العلاقة أهى ضرورية طبيعية، أو ثمرة اصطلاح الجماعات.

ومن قبل تساءل اليونانيون عن ماهية اللغة وأصلها، وماهية الكلمة، وعن العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه.

وقد ذهب Prodicus وسوفسطائيو القرن الخامس قبل الميلاد إلى أن تعلق المعنى بالكلمة تعلق طبع – لا اصطلاح – أما الرواقيون أنصار زينون فكانوا يردون كل شئ إلى المنطق(١).

ويعلق بلومفيد Bloomfield فى كتابه Language على محاورة Cratyllus التى تناقش أصل الكلمات وتناقش العلاقة بين الكلمات والأشياء التى تسميها يقول :

إن هذه المحاورة تعطينا لمحة عن مسألة طال فيها الخلاف بين القياسيين Analagists وأصحاب التشذيذ Anamalists فالأوَل يرون اللغة فى أساسها طبيعية (Natural) مطردة القواعد (Rugular) منطقية (Logical) .

(١) علم اللغة (مقدمة)، ص ٣٤٨، وأنظر : قضايا لغوية.

والآخرون يشيرون إلى الشواذ الملحوظة فى اللغة وينكرون هذا، والقياسيون يتتبعون أصل الكلمات ومعناها بالنظر فى أشكالها وسمو هذا الاشتقاق (Etymology)(١).

ويعترض بلومفيد من وجهة نظر الدراسة اللغوية الحديثة على هذه النظرة ويناقش الأمر مناقشة علمية : ويمثل بلومفيد بأمثلة من اللغة الإنجليزية فيقول : كلمة (Blackhbird) تتكون من الناحية الاشتقاقية من Bird, Black وهى تطلق على نوع من الطيور يسمى هكذا من أجل لونه الأسود وتلك تسمية صادقة حقاً على هذا النوع من الطيور فهى طيور وهى سوداء.

ويقول بلومفيد أيضاً : إنه كان من الممكن أن يستنتج اليونانيون أن ثمة علاقة بين كلمة Goose Berry وكلمة Gosse علماً بأنه لا علاقة بينهما سوى الشبه فى الشكل فالأولى معناها ثمرة من فصيلة التوت والكلمة الثانية تطلق على الأوزة. وعلى الرغم من أن للكلمتين صورة واحدة فالثانية صورة الأولى ولكن لا علاقة بينهما.

ويضيف بلومفيد إن كثيراً من الكلمات الإغريقية مثل الكلمات الإنجليزية على نحو ما رأينا تستعصى على هذا التحليل الذى يوجد العلاقة بين الكلمة ومعناها فمثلا كلمة Early ومعناها مبكرا تنتهى بما تنتهى به كلمة Manly بمعنى رجولى فهل هناك علاقة من الناحية الاشتقاقية بينهما فكلمة Manly مكونة من Man مضاف إليها اللاحقة Ly . بينما الكلمة الأولى إذا طبقنا عليها هذا المبدأ وجردناها من اللاحقة (Ly) تصبح غامضة ولا تعين على تفسير معنى هذه الكلمة.

---

(١) Bloomfeeld, Language P. 4, 5, 6.

وكذلك كلمة (Woman) تشبه (Man) ولكن من الناحية الاشتقاقية لو فصلنا (Man) عن (Wo) غامضا لا يعبر على تحديد معنى الكلمة.

غير أن اليونان وتلامذتهم الرومان كانوا يلجئون إلى الحدس والتخمين فى مثل هذا فمن ذلك مثلا قولهم إن الكلمة اليونانية (Lithos) حجر مشتقة من العبارة (Lain-theein) بمعنى الحجرى الكثير لأن هذا ما تفعله الحجرة.

ثم يعلق بلومفيلد على هذا بقوله : إن هذه الاشتقاقات على أى حال ترينا أن اليونان أدركوا أن الصور الكلامية تتغير على مر العصور.

ومن أعمال بلومفيلد وأقواله يتضح أن مثل هذه الدراسة لا تلقى عناية من الدرس اللغوى الحديث.

ومعلوم أن الدراسة اللغوية الحديثة لا تولى مثل هذه المباحث عنايتها على نحو ما عرض لها بلومفيلد.

ولكن من علماء العربية القدماء من فتنوا باللغة العربية وذهبوا مذاهب قريبة من هذا وقد خلفوا من التراث اللغوى العربى مباحث على تلك الشاكلة تنبئ عن عبقرية وقد أورد السيوطى نماذج وأمثلة تحت عنوان مناسبة الألفاظ للمعانى وناقشناها فى كتابنا مبحث فى قضية الرمزية الصوتية.

فعبقريتهم برعت فى العربية وبها فتلك أصالة تعد من مجالات إبداعهم.

ولإبن جنى فى هذا الميدان جولات بينا سبقه فيها للمحدثين(*).

(*) أنظر فى ذلك كتابنا مبحث فى قضية الرمزية الصوتية نشر دار المعارف.

ففى خصائصه بابان كاملان لهذه الظاهرة :

باب فى إمساس الألفاظ أشباه المعانى(١).

وباب فى قوة اللفظ لقوة المعنى(٢).

ومما يقوله فى الباب الأول. فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متَلَئِّبٌ عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره(٣):

ومن الأمثلة :

خضم لأكل الرطب - وقضم لأكل اليابس - فقد اختار العرب الباء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث - ومنها أيضاً :

النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه(٤).

ومنها أيضاً : الوسيلة والوصيلة : فالوصيلة أقوى معنى من الوسيلة فجعلوا الصاد بقوتها للمعنى الأقوى والسين لضعفها للمعنى الأضعف(٥)، ومنها : القسم والقصم فالقصم أقوى من القسم لأن

---

(١) الخصائص، ج٢، ص ١٥٢.

(٢) الخصائص، ج٢، ص ١٥٧.

(٣) السابق، ص ١٥٣. وإقرأ :أمثلة متنوعة حتى ص ١٥٧.

(٤) السابق، ص ١٥٨.

(٥) السابق، ص ١٥٨.

القصيم يكون معه الدق وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ أحدهما لذلك خصت بالأقوى الصاد وبالأضعف السين(١). وكل ذلك يدخل فى نظرية الفونيم على نحو ما أوضحنا فى كتابنا مبحث فى قضية الرمزية الصوتية.

كما يربط ابن جنى بين المصادر ودلالاتها ومما يراه أن المصادر الرباعية تأتى للتكرير مثل : الزعزعة والقلقلة ، والصلصلة والقعقعة، والصعصعة والجرجرة والقرقرة.

ومن رأيه أيضاً أن مصادر الصفات التى على وزن (الفَعَلَى) تأتى دلالة على السرعة مثل : البشكَى ، والجَمَزَى ، والوَلَقَى.

فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر، والمثال الذى توالت حركاته للأفعال التى توالت الحركات فيها(٢).

ويقول ابن جنى صراحة : إنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعانى فأقوى اللفظ ينبغى أن يقابل قوة الفعل. والعين أقوى من الفاء واللام لأنها واسطة لهما ومكنونة بهما فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها، ولذلك نجد الإعلال بالحذف فيهما دونها(٣) فتضعف العين للتقوية نحو قطّع وفتّح... إلخ.

ويرى ابن جنى أن بعض الأصوات والحروف تزاد لزيادة المعنى فى الأفعال والأسماء ويضرب المثل بقوله تعالى : أخذ عزيز مقتدر، ويقول إن مقتدر أوفق من قادر من حيث تفخيم الأمر وشدته(٤).

(١) السابق، ص ١٥٨. وقد أورد السيوطى نماذج وأمثلة متنوعة فى هذا الصدد. أنظر ص ٦١.

(٢) السابق، ص ١٥٣.

(٣) السابق، ج٢، ص ١٥٥.

(٤) الخصائص لابن جنى، ج٣، ص ٢١٤، ٢٦٥، ٢٦٦.

ويقول ابن جنى : إذا كانت الألفاظ أدلة المعانى ثم زيد فيها شئ أو جبت القسمة له زيادة المعنى به، وكذلك إن انحرف به عن سمته وهدبته كان ذلك دليلا على حادث متجدد له(١) ويدخل كل هذا تحت عنوان البنيات الشكلية على نحو ما أوضحنا فى السابق.

والأكثر من ذلك أن ابن جنى يجعل أصوات المادة الواحدة مهما اختلفت تراكيبها تعبر عن نفس المعنى.

فهو مثلا يجعل مادة (جبر)(٢) أى أصوات الجيم والباء والراء مهما اختلف ترتيبها تعبر عن معنى القوة والشدة :

«جبرت العظم والفقير إذا قويتهما - والجبروت القوة - والجبر الأخذ بالقهر والشدة - ورجل مجرب إذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته، ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه والشئ إذا حفظ قوى واشتد - ثم منه الأبجر والبجرة وهو القوى السرة.

ومنه البرج لقوته ومناعته - كذلك البرج هو نقاء بياض العين. وصفاء سوداها مما يكسبها قوة. ومنه رجبت الرجل إذا عظمته وقويت أمره. ومنه شهر رجب لتعظيمهم إياه عن القتال. ومنه الرجبة وهو ما تسند إليه النخلة لتدعيمها وتقويتها(٣).

وقد سقنا هذا المثل الذى استشهد به الدكتور إبراهيم أنيس لنسوق من بعده تحليله له وتعليقه عليه وها هو ذا :

---

(١) السابق، ج٣، ص ٢٦٨.

(٢) استشهد بها الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أنيس وعلق عليها فى كتابه من أسرار اللغة لذلك سقناها.

(٣) أسرار اللغة، ص ٤٩.

«إن كان ابن جنى قد استطاع فى مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التى يقال : أنها فى جمهرة ابن دريد تصل إلى أربعين ألفاً، وفى معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفاً».

وابن جنى ممن يؤمنون إيماناً قوياً بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات، أو ما يسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية(١).

بل لقد غالى ابن جنى فى هذا ومعه الثعالبى صاحب فقه اللغة إذ جعلا مجرد الاشتراك فى أصلين فقط من الأصول الثلاثة دليلا على الاشتراك فى المعنى العام لبعض الكلمات. فيرى أن المعنى العام للتفرقة يكون بصوتى الفاء والراء. والمعنى العام للقطع يكون بالقاف والطاء.

وغير ذلك من تخيلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة عند رجل اشتد ولعه وإعجابه باللغة العربية فتصور فيها ما ليس فيها وأضفى عليها من مظاهر السحر ما لا يصح فى الأذهان ولا تتصف به لغة من لغات البشر»(٢).

ويرفض البحث اللغوى الحديث هذا كله وإلا «فعليه أن يجب على هذا أن نتصور نوعاً من الارتباط بين حروف الفعل أدرك وحروف الفهم فهم لأن لكل منهما نفس الدلالة.

كما يترتب على ذلك أيضاً أن ننكر من اللغة تلك المئات من الكلمات التى اشتركت لفظاً واختلفت معانيها اختلافاً بيناً»(٣).

---

(١) إقرأ : من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس من ص ٤٦ وما بعدها. أنظر مناقشتنا لهذه القضية فى كتابنا الرمزية الصوتية (السابق).

(٢) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ص ٥١.

(٣) السابق، ص ٤٦.

والحق أن ابن جنى أخّاذ فى استشهاداته فقد مارس العربية ومرن عليها وأخذ يربط بين المعنويات فيها والمحوسات ومعلوم أن المعنوى متطور عن الحسى وبراعة ابن جنى فى إقامة العلاقة بين الأمور التى ارتبطت بالحواس فى كثير من المعانى وبين المعانى المجردة.

ولنا أن نتساءل إذا كانت "Lithos" ترتبط دلالتها بمعنى الحجر عند اليونانيين.. على نحو ما رأينا، وإذا كانت كلمة اذغاغ إذ ما سمعها الفارسى يقول أجد فيها صلابة وأجدها الحجر، وإذاكانت كلمة الحجر إذا ما سمعها العربى أشارت أصواتها إلى معناها وهو الحجر والصلابة فإذغاغ وحجر، Lithos كل واحدة منها فى لغتها توحى بمعناها. فما معنى هذا ؟!

معناه أن الأمور المحسوسة ارتبطت فى أذهان أصحاب اللغات بالأمور المعنوية فاستقرت تصورات فى ذهن كل صاحب لغة وأصبح يخيل له أن اللفظ يشع إيحاءه على المحسوس إلى درجة أنه يخلط بين حدّى الحديث اللغوى (اللفظ والمعنى).

ومن هنا فلا عجب إذا وجدنا أبحاث اللغويين فى هذا الميدان تظلل بظلال منهجهم وأن يتجهوا فى بعض التفسيرات اتجاهات ميتافيزيقة قد تأخذ الطابع الفلسفى فى بعض الحالات ما جاء عند ابن جنى أيضاً.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عند ابن جنى أيضاً :

يقول : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومد فقال : صر وتوهموا فى صروت البازى تقطيعاً فقالوا : صرصر(١).

---

(١) الخصائص، ج٢، ص ١٥٢.

وقال سيبويه ومن المصادر التى جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعانى قولك : النزوان - والنقروان والقفزان.

وإنما هذه الأشياء فى زغزغة البدن واهتزازه فى إرتفاع ومثله العسلان والزنكان.

وقد جاء على فُعال نحو : النُّزاء - والقُماص - كما جاء على الصوت نحو الصُّراخ والنُّباح - لأن الصوت قد تكلف فيه من نفسه ما تكلف من نفسه فى النزوان ونحوه ومثل هذا الغليان لأنه زغزغة وتحرك ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه وتثور ومثله الخطران واللمعان لأن هذا اضطراب وتحرك ومثل ذلك اللهبان والصخدان والوهجان لأنه تحرك الحر وتؤوره فإنما هو بمنزلة الغليان(١).

ويرى ابن فارس عن زيادة النون، أو الميم أنها تطرد زيادتها فى آخر المصدر للدلالة على زيادة المعنى نحو :

رعشن للذى يرتعش، وخلبن ، وزرقم للشديد الزرقة، وصلدم للناقة الصلبة والأصل صلد وشدقم للواسع(٢).

وعلى الرغم مما فى هذه الأقوال وغيرها من براعة أخاذة وحسن فى العرض إلا أن البحث اللغوى الدقيق لا يقره فالميم والنون التى استشهد بها ابن فارس على مصادر دلالة على زيادة المعنى تفسرها الدراسة المقارنة فى الساميات وتعرض على مناهج البحث اللغوى التاريخى(٣).

---

(١) الكتاب، ج٢، ص ٢١٨.

(٢) الصاحبى، ص ٧٠.

(٣) إقرأ : فقه اللغة المقارن للدكتور إبراهيم السلاموانى. وعلم اللغة العربية للدكتور محمود فهمى حجاز.

ومع ذلك يطيب لى هنا أن أعرض رأى لغوى عربى قديم :

يقول عبدالقاهر : «أعلم أن ها هنا أصلا أنت ترى الناس فيه فى صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة لم توضع لتعرف بها معانيها فى أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد وهذا علم شريف وأصل عظيم. والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التى هى أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بها معانيها لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل فى استحالة وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التى وضعوها لها لتعرف بها حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا : رجل وفرس ودار لما كان يكون لنا علم بمعانيها وحتى لو لم يكونوا قالوا : فعل ويفعل لما كنا تعرف الخبر فى نفسه ومن أصله ولو لم يكونوا قد قالوا افعل لما كنا يعرف الأمر من أصله ولا نجده فى نفوسنا، وحتى لو لم يكونوا قدوضعوا الحروف لكنا نجهل معانيها فلا نعقل نفياً ولا نهياً ولا استفهاماً ولا استثناء»(١).

تلك نظرة عالم لغة يصدر فيما يقوله عن فهم لطبيعة اللغة وخبرة علمية بها فألفاظ اللغة فى أية لغة لم توضع لتعرف بها معانيها فى أنفسها ولا علاقة بالمرة بين اللفظ ودلالة وإن وجدت فلا قيمة لها وإنما العبرة عندما تضم الألفاظ بعضها إلى بعض فتعطى فوائد وذلك علم شريف علم التراكيب علم البناء اللغوى علم مبنى على أسس وله قواعد وقوانين تعرفها اللغات.

أما أن الألفاظ اللغوية المفردة وضعت لتدل على معانيها فذلك أمر فى غاية البساطة، ومستحيل أن يكون على مستوى لغة واحدة أو على مستوى اللغات المتعددة المتنوعة.

---

(١) الدلائل، ص ٤١٥.

والدليل على ذلك أن الألفاظ اللغوية تختلف من لغة إلى أخرى.

فالظروف تحتم على الجماعة اللغوية أن تخلق نوعاً ما من اللغة لأداء مطالب المجتمع وسد حاجات الحياة وتحقيق الاتصال والمصلحة على أى لون من ألوان اللغات، فكل جماعة تتطلب اتصالات ومعاملات وتحكمها ارتباطات ولتحقق مطلب التعامل وتسد حاجة الاتصال لابد أن تجد لنفسها مخرجا تحقق به هذه الأغراض.

فلو لم توجد كلمات مثل رجل وفرس ودار فى جماعة فيها هذه الأشياء وغيرها من الموجودات فى البيئة التى تتعامل معها تلك الجماعة فإنها تضع لنفسها ألفاظاً تدل بها عليها.

ومثله لو لم توجد كلمات أفعل ويفعل لبحثت لنفسها عن كلمات تحقق غرض الأمر والأخبار والنهى والنفى والاستفهام والاستثناء والإنكار وهكذا ولا علاقة بين هذه الألفاظ ومعانيها.

فاللغة لهذا ضرورة اجتماعية لا مفر منها ولا حياة لمجتمع بدون تلك الأداة التى تربط وحدته وتؤلف بين أفراد وتجمع بين شتات أغراضه وأهدافه.

«فاللغة تنشأ مع المجتمع الإنسانى وهى عنصر من عناصر تكوينه وأداة فعالة من أدوات تطوره ونموه ورقيه»(١).

واستمع هنا إلى قول عبدالقاهر أيضاً :

فليس نظم الحروف لتكوين كلمات بمقتضى معنى، ولا الناظم لها بمقتضى فى ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى فى نظمه لها ما

---

(١) اللغة والنحو للدكتور حسن عون، ص٧.

نحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لماكان فى ذلك ما يؤدى إلى فساد»(١).

ومعنى ذلك أنه لا مجال فى الدرس اللغوى للبحث عن ارتباط لفظ بمعناه أو تفضيل لفظ على لفظ من حيث هو لفظ. فقد اتضح إتضاحاً لا يدع للشك مجالا وهو أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ولا من حيث هى كَلِمٌ مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ(٢).

ومعنى هذا أن بين أعمال علماء العربية فى التراث التكامل العبقرى.

---

(١) دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجانى، ص ٤٠-٤١.

(٢) السابق، ص ٣٨.

الفصل الخامس

علم اللغة وعلوم اللغة وفقه اللغة
ودلالة مصطلحاتها فى التراث

علم اللغة وفقه اللغة فى التراث

قدم علماء العربية دراسات ومباحث تحت عنوان «فقه اللغة».

فمن المؤلفات التى تحمل هذا العنوان : كتاب الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها لأبى الحسين أحمد بن فارس(١). وكتاب فقه اللغة وأسرار العربية للإمام أبى منصور الثعالبى(٢).

وكذلك قدموا مباحث تحت عنوان «علوم اللغة» مثل : «كتاب المزهر فى علوم الغة وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطى(٣)..

واستعملوا كذلك مصطلح لغة ولغوى وعلم لغة، فمن أقوالهم مثلا، فلان شدت إليه الرحال طلباً للغة، وفلان من المبرزين فى اللغة والنحو..

وصنفوا طبقات اللغويين والنحاة ومن المؤلفات فى ذلك طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى.

غير أن مفهوم هذه المصطلحات عندهم «فقه اللغة - اللغة - اللغوى - علم اللغة» تختلف فى دلالتها عن مفهومنا لها اليوم.

فمفهوم اللغوى عندهم هو المهتم بالمفردات اللغوية ما بين جمع وتبويب وشرح وأخذ وعطاء وتلقين وتلقى فمثلا على بن زيد الفصيحى من أشهر تلامذة عبدالقاهر الجرجانى فى اللغة وقد سمى الفصيحى لكثرة

---

(١) منه طبعة فى بيروت سنة ١٩٦٤م/١٣٨٣هـ ملتزم الطبع والنشر مؤسسة أبدران، حققه وقدم له د. مصطفى الشويمى.

(٢) تمام إسمه : أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى المتوفى سنة ٤٣٠هـ، أنظر طبعة المطبعة العمومية بمصر.

(٣) المولود سنة ٨٤٩هـ، والكتاب فى جزءين ومنه طبعات مختلفة، طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥هـ.

إعادته ودرسه الفصيح وأخذ عنه جماعة منهم أبو نزار النحوى وأبو الفوارس الصيفى الشاعر الملقب بحيص بيص(١).

وقد ظل هذا الاتجاه هو الغالب فى التراث حتى عهد متأخر فنجد مثلا ابن خلدون يتحدث فى مقدمته عن علم اللغة من بين علوم اللسان العربى ويقصد به علم (مفردات اللغة) أو معاجم اللغة وقواميسها.

والأمر فى حاجة إلى وقفة متأنية يصور من خلالها بعض الأحكام التى ربما خالفت المألوف لدى الدارسين.

ولكتاب ابن فارس(٢) «الصاحبى فى فقه اللغة» أهمية خاصة فى نظرنا وذلك لأنه أول مصنف حمل «اسم فقه اللغة» أضف إلى هذا أن الكتاب من أواخر ما ألف ابن فارس فقد كتبه سنة ٣٨٢هـ بعد أن بلغ من العمر ست وسبعين عاماً أى قبل وفاته بثلاثة عشر عاما بعد أن صنف فى هذا الصدد عدة مؤلفات وتحدد فى ذهنه المفهوم العام لهذا المصطلح الذى اختاره ليطلقه على كتابه «فقه اللغة(٣) وسنن العرب فى كلامها» والذى تنبئ عنه رؤيته الذى يرى فيها أن : علم العربية ينقسم قسمين :

١ - قسم فرعى يختص بالكلمات أو المفردات.

٢ - وقسم أصلى أساسه النحو والصرف.

كما نلاحظ فى كتابه الإكثار من الشواهد القرآنية وكأنه يريد أن

---

(١) أنظر : عالم اللغة ومراجعه.

(٢) المولود سنة ٣٠٦هـ والمتوفى سنة ٣٩٥هـ. ونرى أنه صاحب إتجاه فى هذا الصدد تكشف عنه مؤلفاته على نحو ما سيتضح.

(٣) فى معجم مقاييس اللغة لإبن فارس فى مادة (فقه) تقول فقهت الحديث أفقهه، وكل علم بشئ فهو فقه، يقولون لا يفقه ولا نقه.. وأفقهتك الشئ إذا بينته لك، (فالفقه هو العلم وفقه اللغة عنده هو علم بها).

يبين من خلالها سنن العرب فى كلامها، وهو بقية العنوان الذى اختاره لكتاب «فقه اللغة وسنن العرب».

وقد دار كتاب فقه اللغة هذا لإبن فارس حول موضوعات يمكن أن نستشف منها حدود وأبعاد مفهومه لهذا العلم الذى اختار له هذا الإسم وأطلق عليه مصطلح فقه اللغة وباستعراضها نجد أن موضوعات الكتاب متفرقة منها :

* موضوعات عامة متصلة باللغة العربية أتوقيف هى أم اصطلاح وهل يمكن الإحاطة بها ؟

كما يتحدث عن فصيح اللغات وقبيحها، ومدى اختلافها، وتطور اللغة بالإسلام.. وموضوعات كثيرة جاءت على هذه الشاكلة.

* كما نجد فيه مباحث لموضوعات نحوية وصرفية، فمثلا يتحدث عن حروف المعانى ووجوهها.. وموضوعات على هذه الشاكلة ترتبط بهذه المباحث بسبب ما.

* ونجد قسما ثالثاً يعرض للتركيب وطرائق التعبير.

* ثم نجد قسما غير الذى سبق يعرض للشعر ولكن فى إيجاز.

والشئ الذى يلاحظه الدارس أن مباحث ابن فارس كانت ذات اتجاه مشابه عند معاصريه(١) ومن أتوا بعده. فمثلا موضوعات النوع الأول وهى الموضوعات العامة نجد لها مثيلا فى كتاب الخصائص لإبن جنى(٢) ففى الخصائص مثلا : المباحث الآتية :

---

(١) يرى بعض المدققين فى اللغة أن الصواب أنه يقال مزامنه أى الذي عاش فى زمانه لا معاصره. وهو ما نوافق عليه ولكننا آثرنا الشائع على المهجور.

(٢) المتوفى سنة ٣٩٢هـ، وقد قيل إن الخصائص من إملاء أبى على.

أصل اللغة - مقاييس العربية - تعليل اللغة - القياس - الاشتقاق.. وغير ذلك من الموضوعات التى على هذه الشاكلة.

وأما مباحث النوع الثانى التى تتحدث عن الحروف وعللها وزيادتها فلها شبيه فى سر صناعة الإعراب لإبن جنى أيضاً.

أما مباحثه عن حروف المعانى ومعانيها ووجوهها فقد عالجها من قبله علماء العربية ولها شبيه عند معاصريه وأخذت مداها من بعده واكتمل نضجها إتساعاً وعمقاً على يد ابن هشام فيكتابه «المغنى».

وعندى أن كتاب الصاحبى تبلور فيه إتجاه خاص عند ابن فارس يفهم منه مقصوده من مصطلح فقه اللغة.

بدليل أن لإبن فارس كتباً أخرى تحمل كلمة اللغة من بينها مثلا:

١ - كتاب المجمل فى اللغة(١).

٢ - كتاب مقاييس اللغة(٢).

٣ - كتاب مسائل فى اللغة. كما أن له كتاب عنوانه:

٤ - تمام فصيح الكلام(٣).

٥ - وكتاب الإتباع والمزواجة(٤).

---

(١) طبع الجزء الأول منه سنة ١٣٣١هـ.

(٢) حققه أستاذنا عبدالسلام هارون فى ستة أجزاء وصدر سنة ١٣٦٦هـ.

(٣) نشره المستشرق "Arberry" مصورا بلندن سنة ١٩٥١م وهو كتيب قال عنه ياقوت فى معجم البلدان ج٧ ص ٣٣٩ أنه انتسخ فى مدينة مرو سنة ٦١٦هـ من نسخة مخطوط عليها خط المؤلف نفسه مكتوبة بمدينة المحمدية بالرى سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م أو ٣٩٣هـ/١٠٠٢م أى قبل وفاة المؤلف بحوالى عامين.

(٤) أنظر : من مصنفات الثروة اللفظية ص ٤٨ حيث عرضنا للحديث عن رأيه ومنهجه فى الإتباع، ومن كتاب الإتباع والمزاوجة نسخة بدار الكتب المصرية وقد نشره المستشرق Rbrunnow سنة ١٠٩٦م بمدينة «Glessonn».

وكتابه «المجمل» معجم مختصر ألفه لكى يعين الطالب على التخلص من عناء المعاجم ذات الطول المفرط أو النقص المخل، وقد توخى فيه الصحيح كصنيع معاصره الجوهرى، ورتبه على الحرف الأول للأصل والحرف الذى يليه فى الأبجدية. وقد ذكر فى مقدمته مصادره التى اعتمد عليها ومنها الخليل والكسائى والفراء والأصمعى وأبوعبيد القاسم ابن سلام، وابن الأعرابى، وثعلب، والمبرد، والقتيبى، وابن دريد.

وأما كتابه «مقاييس اللغة» فقد حاول فيه أن يرجع جميع الكلمات الواردة تحت أصل من الأصول إلى معنى واحد أو أكثر فى بعض الأحيان وقد رتبه على حرف المعجم بالنسبة للحرف الأول والذى يليه. وهو يبدأ بالثنائى، ثم الثلاثى، ثم مازاد على ذلك وأسهب فيه فى توضيح ما يراه خاصاً بالنحت خلال عرضه للأصول الزائدة على ثلاثة أحرف.

أما كتابه «فصيح الكلام» فهو من الكتيبات الصغيرة الحجم التى عالج فيها بعض المسائل التى تتصل بفصيح اللغة والأفصح فيها.. وهكذا.

فلفقه اللغة عند ابن فارس إذن مفهوم غير مفهوم اللغة.

إن فقه اللغة عنده هو الذى يعرض للقضايا التى رأينا أبعادها فى كتابه الصاحبى فى فقه اللغة.

أما مفهوم اللغة عنده فقد حددتها بقية كتبه التى تحمل عناوين متصلة باللغة وهدفها البحث فى الألفاظ من حيث الدلالة والأصول والنحت والغريب(١).. إلخ.

---

(١) كتاب الغريب المصنف فى اللغة ألفه أبو عبد القاسم بن سلام وهو أسبق من ابن فارس حيث أنه توفى سنة ٢٢٤هـ.

أما كتاب الثعالبى وهو الإمام أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ وهو «فقه اللغة وأسرار العربية» فقد فهم من فقه اللغة دراسة المفردات العربية دراسة دلالية محددة وهى ترتيب الكلمات فى مجموعات وفق معناها وقد دار القسم الأول من كتابه حول هذا. أما القسم الثانى منه فقد جعله للحديث عن سر العربية فى مجارى كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثرها، فهو لم يختر الإسم وفقاً لخطة كإبن فارس وإنما يحدثنا بأن كتابه «فقه اللغة» إنما تسمى بهذا الإسم وفقاً لاختيار الأمير الذى أهداه إليه فدل ذلك على أن المنحى الذى سلكه فى تأليفه لم يكن جرياً على خطة اتفق عليها الباحثون فى ذلك الحين»(١).

وتخلص إلى أن لفقه اللغة مباحثه وقضاياه عند ابن فارس وهى القضايا العامة التى تتصل باللغة.

أما مباحث اللغة فهى المباحث التى تتصل بالمفردات وبالثروة اللفظية عموماً.

جاء فى كتاب مفتاح السعادة تعريفاً بعلم اللغة يقول فيه : «علم اللغة علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيآتها الجزئية التى وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصى، وعما حصل من تراكيب كل جوهر وهيئاتها الجزئية على وجه جزئى وعن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصى»(٢).

(١) مقدمة لدراسة فقه اللغة. د. محمد أحمد أبو الفرج أولي ٦٦ ص ١٢ ـ النثر الفنى فى القرن الرابع للدكتور زكى مبارك – الجزء الثانى – ط. المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٩٥٧، ص ٣٧.

(٢) مفتاح السعادة – تأليف طاش كبرى زاده (متوفى سنة ٩٦٨هـ) جـ أ، ص ١٠٠.

وحدد موضوع هذا العلم بقوله : «وموضوعه جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الدلالة على المعانى الجزئية».

«وغايته الاحتراز عن الخطأ فى فهم المعانى الوضعية والوقوف على ما فهم من كلام العرب»(١).

ويفرق السيوطى بين وظيفة اللغوى ووظيفة النحوى فيقول :

«اعلم أن اللغوى شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه. وأما النحوى فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوى ويقيس عليه(٢).

وسنشير فى إيضاح إلى هذين البعدين :

١ - مباحث فقه اللغة.

٢ - مباحث متن اللغة والثروة اللفظية والمعاجم.

---

(١) السابق، ويذكر بعض المؤلفات فى علم اللغة ويقول : «ومن بين الكتب المختصرة فى علم اللغة كتاب العين للخليل».

(٢) المزهر للسيوطى ح١، ص ٥٩، وفى ح١ ص ٢٥ يشير إلى علم اللغات ويعنى به البحث فى أصل اللغات ونشأتها... إلخ.

الفصل السادس

مباحث فقه اللغة

ومسارات دراسة مفردات اللغة فى التراث

مباحث فقه اللغة

هذه المباحث بدورها ممتدة الجذور إلى الرعيل الأول من علماء العربية من أمثال : عيسى بن عمرو الثقفى وأبى الخطاب الأخفش، والخليل بن أحمد وخلف الأحمروغيرهم من البصريين أوممن قارب عصرهم من الكوفيين من أمثال المفضل الضى وحماد الراوية والكسائى وغيرهم.

ويحدد عالم باحث أبعاد ومجال تلك الدراسات التى تقع تحت مصطلح فقه اللغة من وجهة نظره : بقوله الآتى :

«وبعض العلماء يسمى علم فقه اللغة أسماء أخرى. ففيهم من يسميه علم أصول اللغة وبعضهم يسميه علم سر اللغة وبعضهم يطلق عليه فلسفة اللغة وهذه الأسماء المختلفة قد تشعر بمدلول عبارة فقه اللغة على وجه ما وهو إجمال التبحر فى دراسة اللغة من حيث هى درس قواعدها نحوا وصرفا وعروضاً وبلاغة، ومن حيث علم الأدب بأوسع معنى وبحيث يتناول هذا العلم أطوار نشأة اللغة واشتقاقها وتفرعها مع الوقوف على أسرار اللغة وأسرار الإعراب.

والغرض من فقه اللغة الإحاطة بأسرار اللغة والوقوف على نشأة ألفاظها وما اعتورها من قلب وإبدال وحقيقة وتَجَوّز وإدراك ما بين الأمهات وفروعها المشتقة منها من القرابة فى المعنى، وتبويب المعانى يسهل على الراغبين فى دراسة اللغة الحصول على ما يبتغون من ألفاظ مختلفة، خصصت باب من المعانى بعينه وفهم عباراتها وأساليبها وروح التفكير فيهاوالتعبير عنها»(١).

(١) الأستاذ محمد عبدالجواد فى مذكراته التى لم تنشر، نقلا عن الدكتور بدوى طبانة البيان العربى، ص ٧٠.

وإقرأ : للأستاذ محمد عبدالجواد أيضاً، فقه اللغة، التذكرة، هامش، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى.

ويضرب لغوى(١) آخر أمثلة عملية لبحوث من فقه اللغة من وجهة نظره لدى لغوى العربية القدماء منها :

دراسة الأصمعى للاشتقاق فى اللغة العربية.

ومعظم البحوث التى ضمنها ابن فارس كتابه الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها كبحثه فى نشأة اللغة العربية، وخصائص اللسان العربى واختلاف لغات العرب، ولغات العامة من العرب، والقياس والاشتقاق فى اللغة العربية، وآثار الإسلام فى اللغة العربية، وأسماء الأشخاص ومأخذها، والمترادف وحروف الهجاء العربية، وحروف المعنى، وسنن العرب فى حقائق الكلام والمجاز والنحت والاشتراك.

والبحوث التى ضمها ابن جنى كتابه الخصائص كبحثه فى أصل اللغة. والإطراد والشذوذ، ومقاييس العربية، والألفاظ والمعانى فى اللغة العربية وتعليل ظواهر اللغة، ومدى قصد العرب لهذه العلل والقياس فى كلام العرب، وتركيب اللغات واختلاف اللهجات، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين والاشتقاق الأكبر وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى، وإمساس الألفاظ أشباه المعانى، ودلالة الحروف فى لفظ ما على أصل معنوى كيفما اختلف ترتيبها والعلاقة بين أصوات الكلمة ومعانيها.

ومن ذلك بعض البحوث التى عرض لها ابن سيدة فى مقدمة كتابه المخصص كالبحث فى نشأة اللغة العربية(٢).

وكالتى عرض لها فى الأجزاء الأخيرة من المخصص كالبحوث المتعلقة والتضاد والترادف والاشتراك، والاشتقاق والتعريب والمجاز والممدود والمقصور والتذكير والتأنيث وإبدال الحروف بعضها من بعض.

---

(١) دكتور على عبدالواحد وافى : علم اللغة إقرأ : من ص ٥٩-٦١.

(٢) الجزء الأول من المخصص من ص ٣-٦.

وبعض بحوث قليلة ضمنها الثعالبى كتابه فقه اللغة فى الباب التاسع والعشرين كالبحث فيما يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية، وأسماء فارسيتها ميتة وغربيتها محكية مستعملة، وأسماء عربية يتعذر وجود فارسية لها أكثرها أسماء قائمة فى لغة العرب والفرس على لفظ واحد. وأسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هى مانسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية.

وكذلك البحوث التى ضمنها أبو منصور الجواليقى كتابه «المعرب من الكلام الأعجمى» ودرس فيها نشأة التعريب وشروطه وذكر معظم الألفاظ المعربة مرتبة على حسب حروف الهجاء.

وكذلك البحوث التى ضمنها جلال الدين السيوطى كتابه المزهر.

كالبحث فى نشأة اللغات، والمصنوع والفصيح، والحوشى والغرائب والشوارد والنوادر والمستعمل والمهمل، وتداخل اللغات وتوافق اللغات والمعرب والمولد، وخصائص اللغة والاشتقاق والمشترك والترادف والتضاد والحقيقة والمجاز والعام والخاص والمطلق والمقيد والإبدال والقلب والنحت وما اختلفت فيه لغة الحجاز ولغة تميم والتصحيف والتحريف والأسماء والكنى والألقاب.

والبحوث التى ضمنها شهاب الدين الخفاجى(١) كتابه «شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل».

والبحوث التى ضمنها أحمد فارس الشدياق(٢) كتابه «سر الليال فى القلب والإبدال» وخاصة ما ورد فيه تعدد العلاقة بين أصوات الكلمة

---

(١) من علماء القرن الحادى عشر الهجرى.

(٢) من علماء القرن الثالث عشر الهجرى.

ومعانيها ودلالة الحروف فى لفظ ما على أصل معنوى كيفما اختلف ترتيبها ورجع الكلمات إلى أصولها.

والملاحظة التى نبديها هنا على ما أورده العالمين السابقين، أنه من السهل اعتبار معظم هذه المباحث جزءا من علم اللغة منها ما يدخل فى مجال دراسة علم المعنى. ومنها مايدخل فى مستوى دراسة المفردات ما بين معاجم ووسائل لغوية ومنها ما يمكن تنحيته من مجال الدرس اللغوى.

ويرى الدكتور كمال بشر أن بحوث فقه اللغة فى التراث على الرغم من تنوع مادتها وأهدافها يمكن أن تنقسم إلى(١) :

١ - بحوث ذات صبغة فلسفية عامة منها الكلام فى أصل اللغة ونشأتها وخصائصها.

٢ - بحوث تتصل بالتقنين لبعض القضايا اللغوية العامة وإن كانت مسائل فرعية. ولكنها فى مجموعها خاصة باللغة العربية وحدها. ومنها دراسة القياس، والاطراد والشذوذ والاشتقاق.

٣ - وبحوث تتعرض لمسائل أخص؛ منها : الإبدال والقلب والنحت والتصحيف.

والنوعان الأول والثانى مباحثهما ذات صيغة عامة يمكن دراستهما فى منهج الدراسات الفلسفية التى تدخل فى دائرة علم اللغة.

أما الفرع الثالث : فهى تدور معظمها حول مفردات اللغة بوجه ما ويمكن رد أغلبها إلى علوم اللغة الأخرى.

---

(١) إقرأ : قضايا لغوية للدكتور كمال بشر ص ٦ وسنعرض الفكرة ملخصة بتصرف.

فالاشتراك والترادف مكانهما علم المعنى.

والاشتقاق والإبدال والقلب فى علم الصرف. أما الاشتقاق الذى فى مثل كتاب : «الاشتقاق» لإبن دريد والذى يرمى إلى دراسة العلاقة بين الأسماء ومسمياتها وأصول هذه الأسماء فيدخل تحت دراسة (Onomastic) أو مباحث علم تاريخ الكلمات وأصولها والتى تسمى (Etymology) وهى تتصل بدراسة المعجمات ولها علاقة كذلك بفلسفة اللغة.

ومن رأى الدكتور كمال بشر أن مباحث فقه اللغة يمكن إرجاعها جميعاً إلى مباحث علم اللغة(١).

وهى بحوث تتصل بمفردات اللغة من وجوه متعددة.

---

(١) إقرأ : الأفكار التى توضح أبعاد رأيه هذا فى مؤلفه السابق.

أما المباحث الخاصة بالثروة اللفظية والمعاجم وغيرها

فهى بعيدة الجذور أيضاً وقد اتخذت إتجاهات متعددة منها إتجاه يرمى إلى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعانى بطريقة خاصة مع بيان دلالتها ومواطن استعمالها.

ففى التراث اللغوى اتجهت جهود طوائف من علماء اللغة نحو دراسة المفردات اللغوية آخذة اتجاهات متعددة : يمكن أن تفرع على النحو الآتى(*) :

١ - إتجاه يعنى بالمتن ويحاول المحافظة على سلامة بنية الكلمة عن طريق ضبط حركاتها والاهتمام بسلامة نطقها.

٢ - وإتجاه يعنى بالمفردات وجمع الكلمات التى تربط بينها عرى بقصد إمداد الذاكرة وتزويدها تزويداً صناعياً بطوائف من الكلمات مع إعطاء نماذج استعمالها وطريقة استخدامها مما يمكن أن يعبر عنه بالإثراء اللغوى ومكن أن تسمى مصنفاته مصنفات الثروة اللفظية(١).

٣ - وإتجاه يدور حول الكلمة إيضاحاً وشرحاً وتحليلا وهو ما يمكن أن يطلق عليه مستوى الدراسة المعجمية(٢).

هذا بالإضافة لوجود طوائف أخرى من المصنفات التى تدور فى اتجاهات متعددة حول دراسة المفردات اللغوية ومنها :

(*) ليس هدف الدراسة هنا الإحصاء والاستقصاء فقد قام بمثل هذا علماء أفاضل على نحو ما سيتبين، ولكن المقصود بيان وجهة نظر وعرض رؤية ارتأيناها سائلا الله أن يوفقنى لأبرزها فى مباحث مستقلة.

(١) أنظر : ص ٢٣ وما بعدها من مؤلفنا من مصنفات الثروة اللفظية.

(٢) أنظر : الفرق بين منهج المعجم ومنهج دراسة الثروة ص ٢٥ من المرجع السابق، واقرأ : تفصيلات عن منهج المعجم فى مناهج البحث للدكتور تمام حسان من ص ٢٢٤-٢٣٩.

* إتجاه اتخذ شكل الرسائل فى طوائف خاصة من الألفاظ أو المعانى.
* إتجاه يرمى إلى شرح المفردات وترتيبها ترتيبا خاصاً اتخذ صوراً متعددة :

فنجد كتب الملاحن وكتب الغريب وكتب الألفاظ وكتب الرسائل اللغوية وكلها تدور حول دراسة المفردات.

ويعد قتادة بين دعامة السدوسى (المتوفى سنة ١١٧هـ) وأبوعمرو ابن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤هـ) من الرواد فى هذا المجال عامة وإن كانا لم يخلفا لنا آثار مكتوبة وإنما نقلت الأخبار عنهما مشافهة ورواية فى تضاعيف الكتب.

أما أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢٠٩هـ) فقد ترك كتابه «مجاز القرآن»(١).

ويعد هذا الكتاب أول كتاب تعرض للألفاظ القرآنية اللغوية بالتفسير اللغوى. ولفظ المجاز عنده يساوى طريق الجواز إلى فهم اللفظة القرآنية(٢).

ويقول أبو عبيدة «لم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبى ﷺ أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه وعما فيه مما فى كلام العرب من الوجوه والتلخيص وفى القرآن مثل ما فى الكلام العربى من وجوه الإعراب ومن الغريب والمعانى»(٣).

---

(١) حققه السيد فؤاد سزجين بجامعة استانبول بمعاونة المستشرق ريتر ونشره السيد سامى الخانجى بالقاهرة ١٩٥٤م.

(٢) أنظر : عالم اللغة ص ٦٤، وإقرأ : دافعه إلى عمل هذا الكتاب. ومجازات القرآن لأبى عبيدة ص ٨.

(٣) مجازات القرآن لأبى عبيدة، ص ٨.

فعمل أبى عبيدة تفسير لألفاظ القرآن ومعجم لمعانيه والسبب فى ذلك حركة التطور اللغوى ونتيجة للداخلين فى العربية الذين استغلقت عليهم بعض معانى القرآن الكريم.

فقد عرض فى كتابه هذا ما فى سور القرآن من ألفاظ يشرحها شرحاً لغوياً ويفسر غريبها ويقيم إعرابها مستشهداً من شعر العرب بما يؤيد معناه ومن الأمثلة التى توضح منهجه ومما يبين أن المجاز عنده بمعنى التفسير نصوص مختلفة من مواضع متعددة نعرض بعضها :

منها قوله تعالى: ﴿ذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ أى بغيهم وكفرهم، يقال رجل عَمِه وعَامِهٌ أى جائر عن الحق. قال رؤبه :

ومهمهٍ أطرافُهُ فى مَهْمَهِ أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّه(١)

وقوله تعالى : ﴿وأُشْرِبوا فى قلوبهم العجل﴾ أى سقوه حتى غلب عليهم مجازه مجاز المختصر، أشربو فى قلوبهم العجل : حب العجل(٢).

وقوله تعالى : ﴿وإن خفتم عيلة﴾ وهى مصدر عال فلان أى افتقر فهو يعيل. وقال :

وما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل(٣)

وقوله تعالى : ﴿فى غيابة الجب﴾ مجازها أن كل شئ غيب عنك شيئاً فهو غيابة(٤).

---

(١) مجازات القرآن ، ص ٣٢. ومقدمة تلخيص البيان فى مجازات القرآن، تحقيق الأستاذ محمد عبدالغنى حسن.

(٢) مجازات القرآن، ص ٤٧.

(٣) مجازات القرآن، ص ٢٥٥.

(٤) جاء فى القاموس : الجب موصل ما بين الساق والفخذ. وجاء : والجب بالضم البئرأو الكثيرة الماء البعيدة القعر أو الجيدة الموضع من الكلأ أو التى لم تطو أو مما وجد لا مما حفره الناس.

قال المنحل بن سبيع العنبرى :

فإن أنا يوماً غيبتى غيابتى　　　فسيروا مسيرى فى العشيرة والأهل

والجب الركبة التى لم تطو(١).

قال الأعشى :

لئن كنت فى جب ثمانين قامة　　　ورقيت أسباب السماء بسلم

وقوله تعالى : ﴿لأحتنكن ذريته إلا قليلا﴾ مجازه لأستميلنهم ولأستأصلنهم يقال : احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره أخذه كله واستقصاه.

وقد جاء فى كتاب «الفهرست» لإبن النديم(٢) أن لأبى عبيدة كتابا اسمه «غريب القرآن» ويعلق على ذلك باحث محقق بقوله إن كتاب «المجازات» هو فى الحق كتاب فى غريب القرآن أو فى تفسير ألفاظه ويرى أن الكتابين اسمان على مسمى واحد ويقول : إن ابن النديم وَهِمَ فحسب أن غريب القرآن لأبى عبيدة هو كتاب آخره غير المجازات.

غير أننى أرى أن غريب القرآن غير مجازات القرآن فعلى الرغم من أن أبا عبيدة استعمل المجاز عنده بمعنى التفسير إلا أن له منهجا وهدفاً فهو يهدف إلى بيان أن القرآن جارٍ على سنن كلام العرب ويأتى بما يؤكد هذه الحقيقة وأن العرب لهم تجوزات باللفظة وغيرها لغرض.

---

(١) الفهرست لإبن النديم طبعة القاهرة، ص ٥١.

(٢) مقدمة تلخيص البيان للأستاذ محمد عبدالغنى حسن.

أما كتب الغريب فهى لا تعدو أن تأتى باللفظة العربية تعطى تفسير لها(١) وإن كان كتاب الغريب لأبى عبيدة لم تصل أيدينا إليه فليس هناك ما يدعو لأن ننفى وجوده.

ولا مانع من أن تتعدد جهود أبى عبيدة حول ألفاظ القرآن ما بين غريبها ومجازاتها(٢) (والله أعلم).

أضف أن مجاز أبى عبيدة لم يقتصر على التفسير بل ذكر الزيادة والحذف والاختصار والتقديم والتأخير ومن هنا فمنهجه يخالف المنهج الذى يتبع مع الغريب.

وقد عَدَّدَت كتب التراجم لأبى عبيدة نحو مائة رسالة من بينها من تعرض لأيام العرب وأنسابهم.. ومنها ما تعد رسائل لغوية مثل رسائله عن : الإنسان، والزرع، والخيل، والسيف، والإبل... إلخ.

وأبو عمرو بن العلاء (م ١٥٤) ومن عاصره أو تتلمذ عليه من أمثال عيسى بن عمرو الثقفى، وأبو الخطاب الأخفش، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب وخلف الأحمر من البصريين أوممن قارب عصره من الكوفيين من أمثال المفضل الضبى وحماد الراوية والكسائى، قد عنوا بنصوص اللغة وألفاظها وشرحوا غامضها وتتبعوها فى نصوصها وهم وإن لم يخلفوا لنا آثاراً مكتوبة فقد نقلت أخبارهم فى تضاعيف الكتب.

---

(١) أنظر : مثلا تفسير غريب القرآن لأبى بكر السجستانى.

واقرأ : تعليقات إبن الأنبارى على غريب ألفاظ الأشباه والنظائر لعبدالرحمن بن عيسى. أنظر : مصنفات الثروة اللفظية.

(٢) كثيراً ما تتعدد مؤلفات العلماء حول الموضوع الواحد. فمثلا لإبن خالويه كتاب مختصر فى شواذ القرآن، كما أن له كتاب الحجة فى القراءات السبع، والكتابان موضوعهما واحد وهو القراءات القرآنية.

وللخليل كتاب العين.

وللمفضل الضبى للفضليات والأمثال.

واهتمت طائفة من العلماء بتأليف الرسائل وتدوين العلم فى كتيبات صغيرة تتوفر على موضوع معين من موضوعات اللغة.

مثل كتاب فى الإبل أورسالة فى المطر وقد روت كتب التراجم أسماء رسائل وكتب كثيرة وإن لم يرد لنا منها إلا القليل.

ومن أشهر هؤلاء العلماء : اليزيدى (م ٢٠٢)، والنضر بن شميل (م٢٠٤) وأبو عمرو الشيبانى (م٢٠٦)، وأبو زيد الأنصارى (م٢١٥)، والأصمعى (م٢١٠) وأبو عبيدة (م٢٠٩) ولأبى عمرو الشيبانى وهو تلميذ المفضل الضبى كتاب «النوادر والأراجيز»وكتاب «الخيل» وكتاب «الإبل وخلق الإنسان».

أما كتاب «الجيم» للشيبانى ففى نسبته له خلاف كبير.

ويقال إن الشيبانى ضن به على الناس بعد أن أتم تأليفه.

وقد ذكره الفيروزبادى للشيبانى ثم نقل عنه صاحب تاج العروس.

نقل المصنف قال أبو عمرو بن الشيبانى «الجيم» فى لغة العرب الديباج، ولأبى عمرو كتاب فى اللغة سماه «الجيم» كأنه شبهه بالديباج لحسنه.

ويقول الأزهرى فى تهذيب اللغة. وكان الغالب على أبى عمرو الشيبانى النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب.

ويذكر الأزهرى أن أبا عمرو شمر الهروى المتوفى سنة ٢٥٥هـ ألف كتاباً كبيراً فى اللغات أسسه على الحروف المعجمة ابتدأه بحرف الجيم،

فيما أخبرنى أبو بكر الإيادى وغيره ممن لقيه، وأنه ضن به على تلاميذه وأبقاه عنده حتى غرق فى طوفان بعض الأنهار.

كما تذكر بعض كتب التراجم أن من بين مؤلفات النضر بن شميل كتابا يسمى «الجيم» أيضاً.

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن من بين المخطوطات كتاب عنوانه «كتاب الجيم» منسوب لأبى عمرو الشيبانى وأن هذا المخطوط راويه السكرى وأبى موسى الحامض(١).

أما أبوزيد الأنصارى ٢١٥هـ فقد أخذ اللغة عن أبى عمرو بن العلاء. وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السحستانى وأبو العينا محمد ابن القاسم وغيرهم.

ومن بين كتب أبى زيد كتاب النوادر. ورسالتان صغيرتان فى اللبن والمطر(٢).

وتذكر كتب التراجم رسائل كثيرة له. يمكن الحكم بأنها كتيبات صغيرة يختص كل منها بموضوع معين.

أما الأصمعى ٢١٠هـ فله : الأصمعات، ورجز العجاج، أسماء الوحوش، الإبل، خلق الإنسان، الخيل، الشتاء، والدادات، النبات والشجر والنخل والكرم.

أما النضر بن شميل ٢٠٤هـ. فقد أقام فى البادية أربعين خريفاً

---

(١) دلالة الألفاظ، ص ٢٢٧.

(٢) دلالة الألفاظ، ص ٢٢٨.

يجمع اللغة وصيد الغريب من أفواه الأعراب. ولم يبق من كتبه إلا كتاب «الصفات»(١).

ولأبى حاتم السجستانى المتوفى سنة ٢٥٥هـ : كتاب الوحوش، والسيوف والرماح، الزرع، خلق الإنسان والإبل، وغير ذلك.

ولابن الأعرابى المتوفى سنة ٢٣٢هـ : النوادر، والأنوار، وصفة الزرع، ونسب الخيل، وغير ذلك.

ولابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤هـ بالإضافة لإصلاح المنطق(٢). تهذيب الألفاظ وهو من المعاجم المتوسطة ومرتب على حسب المعانى، وله كتاب «القلب والإبدال».

ولأبى عبيد القاسم بن سلام الغريب المصنف(٣) وهو معجم مرتب على حسب المعانى.

ولعبدالرحمن بن عيسى الهمذانى المتوفى سنة ٣٢٧هـ كتاب الألفاظ الكتابية وهو مطبوع متداول يقول عنه الدكتور رمضان عبدالتواب(٤).

«وهو أول كتاب يصل إلينا بعد الغريب(٥) المصنف متبعاً لمنهجه فى الترتيب».

---

(١) فقه اللغة للثعالبى، ص ١٨-١٩.

(٢) حققه الأستاذ عبدالسلام هارون، ذخائر العرب، رقم (٣).

(٣) وللدكتور رمضان عبدالتواب على هذا الكتاب جهد ودراسات باللغة العربية ويذكر أنها : تحت الطبع - وباللغة الألمانية :

R. Abdel Tawab Dask al Garîb al Musannaf von Abu Ubaid und Seine Bedeutung fuir die nationalarabische Lexikographie' Diss Munchen 1962.

(٤) ص ٢٣٢ من كتابه فصول فى فقه العربية.

(٥) الدكتور رمضان عبدالتواب محقق كتاب الغريب المصنف.

وقد تناولت بالتحقيق كتاب ألفاظ الأشباه والنظائر المنسوب لإبن الأنبارى. وبينت أنه نسخة من الألفاظ الكتابية ولكنها خاصة بإبن الأنبارى أى هو شارح غريبها ومرتبها ومبوبها وأما النسخة المتداولة بإسم الألفاظ الكتابية فهى النسخة التى قد تناولها بالشرح والتوضيح والتبويب إبن خالوية، وبينت أن للهمذانى كتاب الألفاظ فقط وأن ابن خالويه تناول نسخة منه بالشرح والنظم والتبويب وسماها كتاب «الألفاظ الكتابية» وهو المطبوع المتداول والذى أغفل المحققون ذكر اسم ابن خالويه عليه تماماً والنسخة الثانية وهى نسخة ابن الأنبارى والتى تحمل اسم ألفاظ الأشباه والنظائر وقد أنصفت ابن الأنبارى ورددت له اعتباره وأعطيته حقه(١).

أما علماء القرن الرابع الهجرى فمن أشهرهم فى هذا المجال ابن دريد صاحب الجمهرة المتوفى ٣٢١هـ والقالى البغدادى المتوفى سنة ٣٥٦ والأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠هـ والزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩هـ الجوهرى صاحب الصحاح المتوفى ٣٩٣هـ وابن فارس صاحب مقاييس اللغة(٢) والمتوفى سنة ٣٩٥هـ.

وأما علماء القرنين الخامس والسادس فمن أشهر من ألف فى المعاجم منهم : الإسكافى المتوفى سنة ٤٢١هـ وله معجم مبادئ اللغة.

وابن سيدة المتوفى سنة ٤٥٨هـ صاحب المخصص.

ويعد المخصص لإبن سيدة أشمل وأتم هذه المعاجم المرتبة على حسب المعانى والتى انتهجها علماء القرنين الخامس والسادس.

---

(١) ارجع لمقدمة التحقيق - نشر دار المعارف تحت عنوان : من مصنفات الثروة اللفظية. كتاب ألفاظ الأشباه والنظائر لعبدالرحمن بن عيسى الهمزانى المتوفى سنة ٣٢٧هـ نسخة عبدالرحمن بن الأنبارى متوفى ٥٧٧هـ.

(٢) سبقت الإشارة إلى ابن فارس وإلى مصنفاته فى اللغة.

كما يعد معجم العين للخليل بن أحمد من أول المعاجم وأتمها المرتبة ترتيباً صوتياً.

أما معجم الجمهرة لإبن دريد فهو أول معجم مرتب ترتيباً هجائياً بين معاجم القرن الرابع الهجرى.

ويقول الاستاذ العقاد(١) عن المخصص لإبن سيدة : «كتاب المخصص لصاحبه ابن سيدة صاحب الفضل على كل من كتب بعده فى المعاجم، وأكثر المعاجم المطولة كتبت بعد القرن الخامس الذى عاش إلى ما بعد منتصفه». كما جاء فى مقدمة الطبعة الأولى بقلم المؤلفين(٢) :

«إنه عباب خضم وعيلم عظَم يؤيد روايته الكثيرة بشواهده المنظومة والمنثورة ويعزز ما يورده بآى القرآن الكريم والحديث الشريف ومأثور الأمثال ويستطرد إذا برقت بارقة أمل فى الاستطراد فيشرح ما نال الكلمة من إعلال وإبدال، ويسوق فى هذا السبيل ما سقط له من أقوال الأئمة المقاول واللُسن الفياصل ويشبع المقام بسطا وسعة..».

وقد تناول الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه دلالة الألفاظ فى الفصل الثانى عشر تحت عنوان كنوز الألفاظ العربية هذا الموضوع فى دقة وتسلسل يتنبئ عن إحاطة وتمكن.

كما تناول الدكتور رمضان عبد التواب فى كتابه فصول فى فقه العربية فى الباب الرابع منه تحت عنوان الثراء اللغوى فى العربية هذه المباحث بشئ من الإيجاز والتوضيح معاً الذى لا غنى عنه لما فيه من نفع.

---

(١) فى تصديره لكتاب الإفصاح فى فقه اللغة تأليف عبدالفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى (طبعة ٢، دار الفكر العربى).

(٢) السابق.

أما الدكتور حسين نصار فقد تناول فى دراسة علمية موسوعية المعجم العربى نشأته وتطوره(١) ودراسته كما يقول عنها إنها «تسير مع هذا اللون منذ نشأته إلى يومنا هذا بل تضع بعض تخطيطات ترى أن مستقبله سيراعيها فهو زمن فيه طول وسعة»(٢). ويقول أيضاً «وكان من النتائج الهامة التى وصلت إليها تجلية الأمور التى أضافها كل معجم إلى سابقيه فى المنهج والمادة والأمور التى قلدها فيها والاتجاهات الجديدة التى أدخلها عليها إلى جانب وصفه وصفاً شاملا دقيقاً من جميع نواحيه»(٣) كما يقول إنه لم يهمل مشروعات المجمع اللغوى المصرى التى لم تطبع بعد، بل تناولها بالبحث والوصف والاقتراح ويضيف قائلا : ووضعت أمام لغويى العرب الأهداف التى يرمى إليها مؤلفو الغرب من معاجمهم، والمناهج التى اتخذوها فى سبيل تحقيقها وعنيت بأحدث معاجمهم وأكثرها تطوراً، حتى يبين الفرق بيننا وبينهم ونختار ما يلائمنا منها»(٤) فهو جهد كبير لا غناء عن الإطلاع عليه واقتنائه.

كما قد تناول الدكتور عبدالسميع محمد أحمد هذا الموضوع فى كتابه «المعاجم العربية دراسة تحليلية»(٥) الذى يقول فى تصديره له : «تعالج هذه الدراسة التاريخ للمعاجم العربية المجنسة، وتحاول أن تقدم بعضها بشئ من التحليل والدرس، وتبسط الحديث عنها، وتترجم لمناهجها وتيسر سبل الانتفاع بها وارتيادها»(٦) وهو عمل فيه أصالة وجهد يدفعنا

(١) فى جزءين، نشر مكتبة مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٨.

(٢) السابق، ص ٧٨٢.

(٣) السابق، ص ٧٨٣.

(٤) السابق، ص ٧٨٤.

(٥) نشر دار الفكر العربى، طبعة سنة ١٩٧٩.

(٦) السابق، ص ٤.

إلى التطلع لكتابه الثانى «دراسة لمعاجم الموضوعات»(١)، وهو دراسة تحليلية لبعض المعاجم المبوبة التى تعرف الناس بها وتيسر سبيل الانتفاع بما فيها من ثروة موفورة الخير(٢).

كما قد ظهر فى المكتبة العربية كتاب «المعجمات العربية ببليوجرافية شاملة مشروحة(٣).

يقول الدكتور حسين نصار فى تقديمه له :

«والغريب أن هذا اللون من التأليف الجديد على المطبعة العربية الغريب على الناشر والقارئ العربيين ليس جديداً ولا غريباً على التراث العربى فقد أصدر الكاتب العربى فى عصور سالفة نماذج منه احتفظت بقيمتها إلى يومنا هذا وأقرب هذه النماذج الفهرست الذى صنعه إبن النديم فى القرن الرابع والفهرست الذى صنعه محمد بن الحسن الطوسى فى القرن الخامس وأمثالهما لبعض المكتبات العربية، والفهرسة التى صنعها أبو بكر محمد بن خير الأشبيلى لما رواه عن شيوخه فى القرن السادس وأمثالها، والفهرسة التى صنعها جلال الدين السيوطى فى القرن الثامن لمؤلفاته وأمثالها؛ كل ذلك دليل اهتمام القدماء بهذا اللون من التأليف. وقد عنيت المطبعة الحديثة بإصدار بعض هذه الكتب ولازال بعضها الآخر متوارياً على رفوف المكتبات ينتظر نور البعث».

---

(١) السابق، ص٤.

(٢) السابق، ص ٢٤٠.

(٣) إعداد وجدى رزق عالى، تقديم د. حسين نصار، نشر الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

وهو كما يقول المؤلف فى مقدمته : إنه يرمى إلى سد ثغرة وإكمال قصور بأن يقـدم إلى دنيا البحـث والمعرفة بيليوجرافية شاملة بالمعاجم العربية المطبوعة.

وهو جهد طيب يحتاج له كل باحث وقد أقامه على أقسام:

القسم الأول : عن المعجمات العربية العامة الواحدية اللغة عربى عربى.

القسم الثانى: المعجمات العربية العامة الثنائية والثلاثية والمتعددة اللغات عربى أجنبى، أجنبى عربى.

والقسم الثالث : المعجمات العربية المتخصصة.

الفصل السابع

علوم البلاغة التقليدية

و صلتها بعلوم اللغة فى التراث

صلة علوم البلاغة التقليدية
بعلوم اللغة فى التراث(*)

علوم البلاغة التقليدية بفروعها المختلفة(١) امتداد لمباحث لغوية وقد جاءت فى التراث وكما عرض لها اللغويون العرب جزءاً من الدراسة اللغوية.

وكتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى كان إنطلاقة دفعت كثيراً من الباحثين إلى مسارات متنوعة من البحث انتهت إلى ما عرف بعد بعلوم البلاغة.

فقد عالج أبو عبيدة فيه كيفية التوصل إلى فهم المعانى القرآنية باجتذاء أسالب العرب فى الكلام وسننهم فى وسائل الإبانة عن المعانى، وقد أفاض أبوعبيدة فى كتابه فى التمثيل بمأثور القول من منثور كلام العرب ومنظومهم فإبان أبو عبيدة كل ما يحتاج إلى بيان من القرآن الكريم مستعيناً بما يحفظ من غريب اللغة وشاردها متخذاً من ذلك شواهد على صحة فهمه.

وقد كان المسلمون فى تلك الآونة فى حاجة إلى منهج بيانى فقد كانت الحاجة لمنهج البحث البيانى ضرورة يحسها المسلم لفهم معانى القرآن ولا يتم هذا الفهم إلا بتعرف أساليب القرآن وما ينطوى وراء تعبيراته من المعانى والمقاصد، يقول ابن خلدون «إن البيان كان من العلوم التى غرسها المسلمون فى سبيل فهم كتابهم والذود عن قراءتهم وكان نماؤه بعد ذلك وتشعب مباحثه بتأثير الدين وبتوجيه المفكرين من حملته ورجاله»(٢).

(*) الدراسة هنا دراسة نماذج وأمثلة وليست دراسة إحصائية استقصائية وإلا احتاجت مصنفاً بأكمله ربما من عدة أجزاء.

(١) المقصود بالمنهج البيانى أى المنهج اللغوى آخذاً من قوله تعالى (علمه البيان) أى الإبانة باللغة. وتطورت دلالة هذا المصطلح ومفهومه إلى ما هو معروف الآن بعلم البيان لدى البلاغيين.

(٢) المقدمة، ص ٥٤٥.

ولقد اتخذ كتاب تأويل مشكل القرآن الذى كتبه أبو محمد عبدالله ابن مسلم بن قتيبه (المتوفى سنة ٢٧٦هـ) نفس الإتجاه فأراد أن يوضح كيف أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها فى الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشئ وإغماض بعض المعانى حتى لا يظهر عليه إلا اللّقن، وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفى(١).

وقد أورد ابن قتيبة لكل آية فيها شبه أو عبارة فيها خفاء، الأمثال والنظائر من مأثور القول عند البلغاء والفصحاء الذين شهد لهم بالتمكن فى اللغة شعرها ونثرها وبرهن بذلك على أن هذا الأسلوب من النظم القرآنى ليس بخارج على الأسلوب العربى وليس بغريب على المفوهين أصحاب اللسن والحجة من العرب.

ومن المجازات فى الكلام عنده : «الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع والجمع خطاب الواحد والواحد والجمع خطاب الإثنين والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص وبكل هذه المذاهب نزل القرآن(٢) وكلها مباحث لغوية وتعد اللبنة الأولى فى بناء صرح علم المعانى الذى هو علم التراكيب ومهدت لما عرف فيمابعد لدى البلاغيين بعلم المعانى وهو ما يعرف لدى اللغويين بعلم (Syntax) وهو الذى وضع أسسه فى التراث عبدالقاهر الجرجانى ونشير إلى بعض الأبواب التى يستحسن الرجوع إليها مع بعض إشارات منها.

(١) البيان العربى، ص ١٢.

(٢) أنظر : تأويل مشكل القرآن لإبن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر. أنظر : أيضاً البيان العربى (السابق).

باب المقلوب : وهو أن يقدم ما يوضحه التأخير ويؤخر ما يوضحه التقديم ومن الأمثلة عليه قوله تعالى : ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما﴾.

(أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا).

كما أورد باباً فى الحذف والاختصار. وباباً لتكرار الكلام والزيادة فيه. وباباً سماه مخالفة ظاهر اللفظ معناه (ويقصد هنا الغرض البلاغى الذى يتلاءم مع طبيعة الموقف والحدث اللغوى بتعبيرنا اليوم).

كما عرض للمترادف، وفسر حروف المعانى ودخول بعض الحروف مكان بعض وهكذا مما يعد من المباحث اللغوية.

وكان غرضه من هذا كله بيان أن القرآن الكريم نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها فى الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشئ، وإغماض بعض المعانى حتى لا يظهر عليه إلا اللقن وإظهار بعضها وضرب الأمثال لماخفى.

أما كتاب تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى(١) فقد تتبع نفس المسار يقول عنه محققه : «إننا نجده بجانب ذلك قد خدم اللغة خدمة لا ينتظر صدورها إلا من مثل الشريف الرضى فى علو كعبه وثبوت قدمه فى لغة العرب فهذا الفيض الغزير من العبارات الفصاح والألفاظ اللغوية والتراكيب التى جرت من العربية فى الصميم والاستعمالات التى صح ورودها عن العرب الفصحاء البلغاء هذا الفيض الفياض من الذخيرة اللغوية الحية فى الأمثال والتراكيب قد فاض به (تلخيص البيان)

---

(١) ولد الشريف الرضى سنة ٣٠٩هـ وتوفى سنة ٤٠٦هـ.

وكتاب تلخيص البيان فى مجازات القرآن حققه وقدم له بمقدمة تناول فيها مجازات القرآن عند أبى عبيدة والجاحظ وابن قتيبة والشريف وترجم للشريف وصنع فهارسه الأستاذ محمد عبدالغنى حسن.

فيضانا كانت مظنته فى كتب اللغة لا فى مجازات القرآن»(١) فمباحثه فى كلا المفهومين بالمفهوم التقليدى أوالتجديدى من مباحث علوم اللغة.

كما أن الشريف الرضى قد أورد فى كتابه هذا كثيراً من الآيات على قراءات غير القراءة المتداولة فى المصحف العثمانى وهى قراءات صحيحة غير شاذة للأئمة السبعة المروية قراءتهم بالقوائم وهم :

ابن عامر المتوفى بدمشق سنة ١١٨هـ.
ابن كثير المتوفى بمكة سنة ١٢٠هـ.
عاصم بن أبى النحود المتوفى بالكوفة أو بالسمادة سنة ١٢٧هـ.
أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ.
حمزة بن حبيب الزيات المتوفى بحلوان سنة ١٥٦هـ.
نافع بن عبدالرحمن المتوفى سنة ١٦٩هـ.
الكسائى المتوفى سنة ١٨٩هـ.

وقد قصر الشريف الرضى دراسته فى هذا على البحث فى مجازات(٢) القرآن أى فى الألفاظ المستعملة فى غير ما وضعت له وكل كتابه فى هذا.

كما كانت صحيفة بشر بن المعتمر وهو أحد أئمة المعتزلة (المتوفى سنة ٢١٠هـ) والتى تناول فيها بعض القضايا التى لمسها لمساً سريعاً ولكنه فى غاية الأهمية لأنه وضع المبدأ اللغوى المشهور الذى يتخذ الأساس

---

(١) مقدمة تلخيص البيان فى مجازات القرآن للأستاذ محمد عبدالغنى حسن، ص ٢٧.

(٢) أنكر الظاهرية المجاز فى القرآن وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية، وشبهتهم أن المجاز غير الحقيقة فهو كذب والقرآن منزه عن الكذب، كما أن المتكلم لا ينصرف عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة أو عجز عن التعبير بها فيستعير وذلك محال على الله القادر المنزه عن العجز. وقد رد ابن قتيبة على هذا : «وبأنه لو كان المجاز كذبا.. لكان أكثر كلامنا فاسدا».

الأول فى دراسة المعنى اللغوى وهو مبدأ (مطابقة الكلام لمقتضى الحال). والذى أفاض عبدالقاهر فى تبيانه فيما بعد وكان أحد الدعائم القوية فى دراسة المعنى اللغوى عنده(١).

أما كتاب سر الفصاحة لأبى محمد عبدالله بن سعيد بن سنان الخفاجى المولود سنة ٤٢٢هـ والمتوفى سنة ٤٦٦هـ فإنه يكشف فى أكثر من موضع عن علاقة مباحث البلاغة التقليدية بالدراسات اللغوية وفى كتابه هذا دراسات لغوية على مستويات مختلفة.

فقدجعل فى كتابه البحث فى اللغة على مستويات.

فالعمل اللغوى يتكون أمامه من عبارة وتركيب والعبارة تتكون من كلمات انضم بعضها إلى بعض والكلمة تتكون من مقاطع وكل مقطع منها يتكون من أصوات ثم يذكر نبذاً من أحكام الأصوات ويبين حقيقتها ثم يذكر تقطعها على وجه يكون حروفاً متميزة. ويشير فى غير إسراف إلى مخارج هذه الحروف وإنقسام أصنافها وصفاتها ما بين مجهور ومهوس وشديد ورخو. ثم يبين أن الكلام هو ما انتظم من هذه الحروف.

ثم يتحدث عن نشأة اللغة أمواضعة هى أم توقيف ثم يتخذ من اللغة شعرها ونثرها ما يبين مراده عن الفصاحة.

ويتحدث الخفاجى عن الفصاحة وهى كما يرى نعت للألفاظ وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف وبوجود أضدادها تستحق الاطراح والذم وجعل تلك الشروط قسمين :

الأول : منها فى اللفظة الواحدة على إنفرادها من غير أن ينضم إليها شئ من الألفاظ وتؤلف معه وقد استغل فيه الأصوات للدلالة على

(١) أنظر : عالم اللغة دراسة المعنى اللغوى الأساس الرابع. ص ٢٥٠.

معان خاصة وهو عمل هام من وجهة نظر البحث اللغوى ومنها.

أن تكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج وعلة ذلك عنده أن الحروف التى هى أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ولاشك أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت فى المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ويضرب عليه الكثير من الأمثلة ومن ثم يقول : وجل كلام العرب عليه.

ثم يقول عن حروف الحلق إن لها مزية فى القبح إذا كان التأليف منها فقط وأنت تدرك هذا وتستقبحه كما يقبح عندك بعض الأمزجة من الألوان وبعض النغم من الأصوات.

والثانى : أن تجد لتأليف اللفظة فى السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساوياً من التأليف من الحروف المتباعدة كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسنا يتصور فى النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه ومثاله فى الحروف عذب فإن السامع يجد لتلك الكلمة فى تصاريفها المختلفة ما لا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ فى التأليف وليس ذلك لبعد الحروف فى المخارج فقط ولكنه تأليف مخصوص مع البعد.

وقد يكون هذا التأليف المختار فى اللفظة على جهة الاشتقاق فيحسن أيضاً كل ذلك لوقوعه على صفة يسبق العلم بقبحها أو حسنها من غير المعرفة بعلتها أو بسببها ومن أمثلته كلمة تفاوح فى قول المتنبى :

إذا سارت الأحداج فوق نباته   تفاوح مسك الغانيات ورنده

يقول إن تفاوح كلمة فى غاية الحسن.

والثالث : أن تكون غير متوعرة وحشية..

والرابع : أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية.

وهذه الشروط ذات صلة قوية بمبادئ الدرس اللغوى وهو عدم الخلط فى المستويات اللغوية.

ومثله الشرط **الخامس** : وهو أن تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح غير شاذة :

أ) من التصرف الفاسد فى الكلمة.

ب) أو عبر بها عن غير ما وضعت له فى عرف اللغة.

جـ) وقد يكون إيراد الكلمة على الوجه الشاذ القليل ومنه قول البحترى :

متحيرين فباهت متعجب مما يرى أو ناظر متأمل

فباهت جاءت على وجه شاذ فالعربى المستعمل بهت الرجل يبهت فهو مبهوت وهذا يدخل فى علم الصيغ وهو مبحث صرفى من وجهة نظر الدرس اللغوى.

أو صرف مالا ينصرف.

أو منع الصرف مما ينصرف.

أو قصر الممدود أو مد المقصور.

أو حذف الإعراب للضرورة.

أو تأنيث المذكر على بعض التأويل، أو تذكير المؤنث.

وكلها كما ترى مباحث لغوية تقليدية نحوية صرفية بالدرجة الأولى. وبعد أن يضرب الأمثلة على كل هذا يقول : إن هذا وأشباهه وما يجرى مجراه، وإن لم يؤثر فى فصاحة الكلمة كبير تأثير فإنه يؤثر صيانتها عنه.

وأما الشرط **السادس** : عنده فإنه يتصل بالمباحث اللغوية الاجتماعية بالمفهوم الحديث Sociology Linguistics وهو ألا تكون الكلمة قد غير بها عن أمر آخر يكره ذكره ومثاله قول عروة بن الورد.

قلت لقوم فى الكنيف تروحوا   عشـــــــية بتنـــا وإن رزخ

والكنيف أصله السائر ومنه قيل للترس كنيف غير أنه استعمل فى الآبار التى تستر الحدث واشتهر بها. ومعناه كما نقول فى علم اللغة اليوم : أن الدلالة أصابها تطور نحو الانحطاط.

والسابع : أن تكون الكلمة مصغرة فى موضع عبر بها فيه عن شئ لطيف أو خفى أو قليل أو ما يجرى مجرى ذلك وفى الدرس اللغوى : هذا مما يتصل بالنسق والسياق معاً.

وبعد أن أوفى الحديث فى الكلام عن اللفظة المفردة انتقل إلى ما ينشأ من مجموع الكلمات وهو النظم الذى يتألف من تلك الكلمات.

وهو كما ترى اتبع منهجاً لغوياً، فقد اتبع منهج دراسة اللغة على مستويات مستوى الأصوات، ومستوى الصيغ، ومستوى التراكيب ثم المستوى الدلالى وما يتأثر به ويؤثر فيه.

وكل هذا يفيد أن مباحث البلاغة التقليدية مباحث لغوية أو هى جزء من الدرس اللغوى بالمعنى الذى نفهمه. وإن ما عرض له الخفاجى يعد ذلك من رأى للرمانى من أن التأليف عن ثلاثة أضرب :

١ – متنافر.

٢ – متلائم فى الطبقة الوسطى.

٣ – متلائم فى الطبقة العليا.

ورفضه له وجعله التأليف على ضربين : متنافر، ومتلائم فقط. وأنه قد يقع فى المتلائم ما بعضه أشد تلاؤماً من بعض، ومن رأيه أن إعجاز القرآن لا يلتمس من تلك الجهة.

ثم يتحدث عن الإعراب وصلته بالتأليف ويقول :

أما جريان الكلمة على العرف العربى الصحيح فإن للتأليف بهذا عُلقة وكيدة لأن إعراب الكلمة لتأليفها من الكلام وعلى حكم الموضع الذى وردت فيه وهذا المبحث متصل بالبناء اللغوى أى بعلم التراكيب (Syntax).

وأما كتاب بدائع القرآن لإبن أبى الأصبع (المتوفى سنة ٦٥٤هـ فهو من أثر الدراسات القرآنية فى هذه المباحث وقد جاء فى مقدمته :

«وهذا كتاب هو وظيفة عمرى وثمرة اشتغالى فى إبان شبيبتى ومباحثتى فى أوان شيخوختى مع كل من لقيت من الفضلاء ونبلاء البلغاء فى علم البيان وكل من له عناية فى تدبر القرآن ونقد ثاقب لجواهر الكلام» وذكر من الفنون قرابة المائة فن.

ومما كتبه فى إئتلاف اللفظ مع اللفظ وإئتلافه مع المعنى.

١ - أن تكون الألفاظ ملائم بعضها بعضاً بأن يقرب الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة.

وهذه النقطة هامة فى المباحث اللغوية حيث أنها تشير إلى أهمية عدم الخلط بين المستويات اللغوية. وإلى الدراسة اللغوية على مستوى اللفظ المفرد... إلخ

٢ - أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد وضرب الأمثلة لذلك من الذكر الحكيم. وهى نقطة هامة إذ أنها تشير إلى وجوب مراعاة

السياق ومقضى الحال ومقام الاستعمال وتلك من أهم النقاط فى دراسة علم المعنى.

ومن كل ما سبق نتبين حقيقتين هامتين :

١ - **أولاهما** : أن القرآن الكريم هو مفجر العلوم اللغوية فالقرآن نص لغوى أنتجت الدراسات فيه مباحث لغوية مختلفة مازالت لها أهميتها فى الدرس اللغوى التقليدى منه والتجديدى.

٢ - **ثانيهما** : أن الدراسات البلاغية التقليدية تربطها علاقة قوية بالدراسات اللغـويـة.

وأن موضوعات البلاغة التقليدية فى عمومها يمكن تفريعها فى الدراسات اللغوية على النحو الآتى :

المعانى : من نقاط البحث فى النحو بمعنى التراكيب والبناء اللغوى (Syntax)

البيان : المجاز بأنواعه يدخل ضمن علم الدلالة.

البديع : أكثره يدخل فى الدراسات الصوتية ذات الوظيفة الدلالية (Phonontylistics) .

فقد كانت الرغبة فى فهم أسرار إعجاز القرآن الكريم وإقامة الأدلة العلمية على إعجازه هى مفجر تلك المباحث.

وكل باحث منصف لا يمكن إن ينكر أثر امتزاج الثقافة العربية بغيرها من الثقافات فإن الحضارات التى سبقت المدنية الإسلامية لها أثرها فى كل تلك الدراسات وخاصة الحضارة الإغريقية. ولكنه أثر التثقف والابتكار إنه التمثل بعد الهضم الذى هو عنصر من البنية لحية يفيض منها وينبض بها.

وهو ما نراه واضحاً خاصة فى الدراسة البلاغية التقليدية وبنوع خاص عند الأعرجين الزمخشرى والسكاكى.

الفصل الثانى

مجالات علم اللغة ومناهجه

مجالات علم اللغة ومناهجه

تجدر بنا الإشارة إلى إتجاهات هامة ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر وكان لها أثر كبير فى نهضة الدراسات اللغوية.

أهمها جعل البحوث اللغوية بحوثاً علمية بالمعنى الصحيح، وإخضاعها لمناهج البحث العلمى وتوجيهها إلى الأغراض التى ترمى إليها العلوم، وجعل أغراضها الكشف عن القوانين التى تخضع لها الظواهر اللغوية. وتخليصها من النظرات الميتافيزيقية والقضايا الفلسفية(١).

يقول دافيد كريستل هناك اختلافات متعددة وحاسمة بين المنهج الحديث والدراسة القديمة للغة وحجر الزاوية فى هذا الخلاف تلخصه كلمة واحدة هى Scientific العلمية والجانب الهام فى (Scientifieness) علمية علم اللغة هو استعمال الأساليب العلمية التى يعتمد عليها الموضوع أى المنهج العلمى Scientific method الذى يتمثل فى ملاحظة الظواهر ثم إقامة الفرض النظرى الذى يفحص بعد ذلك منهجياً عن طريق التجريب وتحقيق الفروض، كما يهتم بوضع أصول نظرية علمية، ومصطلح علمى ثابت وواضح(٢).

فهناك شقان مترابطان :

١ - وضع نظرية شاملة عن اللغة والحياة اللغوية.

٢ - وضع الأسس المنهجية لبحث اللغة بحثاً علمياً.

---

(١) علم اللغة، د. على عبدالواحد وافى.

(٢) David crystal; What is Linguistics .

وإقرأ : الترجمة العربية تحت عنوان التعريف بعلم اللغة، ترجمة د. حلمى خليل، طبعة أولى، ١٩٧٩، ص ٨٢-٨٣.

وكان لهذا الاتجاه أثره فى توضيح حدود كل فرع من فروع علم اللغة وبيان مناهجه وأساليب البحث فيه وطرق دراسته وتضافرت أقلام طوائف من العلماء فى البحث فى الفروع المختلفة فيه مما كان سبباً فى رقيه وكثرة الإنتاج فيه.

والفضل فى تأكيد هذا الإتجاه يرجع إلى مدرسة ألمانية الأصل أطلق على أفرادها اسم : المحدثون من علماء القواعد Néo Gramairiens. وقد ذهبت هذه المدرسة إلى جبرية الظواهر اللغوية، وإلى أنها تسير وفقاً لقوانين لا يستطيع الفرد ولا الجماعة تعويقها أو تغييرها وواجب الباحث ينحصر فى تحليلها وكشف القوانين الخاضعة لها(١). وذلك يرجع لروح القانون الطبيعى الذى لقى حظاً عند الباحثين فى ذلك ومن أعلام هذه المدرسة ليسكين Leskien. وبروجمان Brugmann وأستوف Ostoff وهرمان بول Hermann Paul ودلبريك Delbrick .

وقد لقى هذا الإتجاه مقاومة من عدة طوائف منها :

* المدرسة الإيطالية التى عللت كثيراً من الظواهر اللغوية تعليلا لا يقر جبرية الظواهر اللغوية وكان من أبرز أعضائها أسكولى Ascoli .

* والمدرسة الإنجليزية التى رفضت الجبرية وأرجعت الظواهر اللغوية بما فيها التطورات الصوتية إلى أمور يقوم بها بعض الأفراد وتنتشر عن طريق التقليد. وكان من أبرز ممثليها سيسى Sayce وسويت Suicet الإنجليزيان ويسبرسن Jespersen الدانمركى.

* وطائفة أخرى يمثلها العلامة الفونسى Bréal حيث سلمت بالجبرية مع تحفظ فيما يتعلق بموضوع الفوناتيك. وخالفت فيما يتصل

(١) علم اللغة، د. على عبدالواحد وافى.

بالسيمانتيك (الدلالة) فالتغيرات التى تحدث فى الدلالة إما مقصودة أو شبه مقصودة كما أن للأدباء والكتاب فى كل عصر دورهم فى النهوض باللغة.

أضف إلى ما سبق الإتجاه نحو التخصص فى دراسة فرع واحد أو التعمق فى مبحث من مباحث فرع من فروع اللغة مما كان سبباً فى النهضة بمختلف شعب علم اللغة وميادينه ومباحثه وتعدد مناهجه.

وعلم اللغة العام هو الأساس المنهجى النظرى لفروع علم اللغة، وهو أساس نظرى ينمو بالممارسة العلمية التطبيقية. وهو يحاول بلورة الأسس المنهجية المختلفة التى تمكن الباحثين من وصف النظام اللغوى سواء كان موضوع الدرس لغة أو لهجة.

وعلم اللغة العام يدرس طبيعة العلاقات اللغوية فى تفاعلها مع الجوانب المختلفة. سياسية واجتماعية واقتصادية فاللغة فى تفاعل مع بقية الجوانب.

وعلم اللغة المقارن يعد أقدم المناهج فى الدرس اللغوى الحديث وبه بدأ البحث اللغوى فى القرن التاسع عشر.

وهو لا يهتم بمقارنة لغتين متميزتين بل يقارن اللغات المندرجة فى أسرة لغوية واحدة.

ويعرف علم اللغة الحديث عدة مناهج هى وفق نشأتها التاريخية منذ القرن التاسع عشر حتى الآن :

علم اللغة المقارن.

علم اللغة التاريخى.

علم اللغة الوصفى.

علم اللغة التقابلى.

ويذهب ماريو باى إلى أن لعلم اللغة فروعاً ثلاثة هى :

علم اللغة التاريخى.

علم اللغة الوصفى.

علم اللغة الجغرافى.

ويكاد تأليفه لكتابه (أسس علم اللغة)(١) يستهدف تأكيد هذا الفرع الأخير. ويتحدث ماريوباى عن علم اللغة الوصفى فيقول : حيثما يستخدم الناس كلمة (علم اللغة) من غير إضافة كاشفة فإنهم يعنون غالباً علم اللغة الوصفى أو التركيبى فهو أساس الدراسات اللغوية.

وعن علم اللغة التاريخى يرى أن الدروس المستفادة من ماضى اللغة وما أفادت فى فهم ما يحدث الآن أو ما سيحدث فى المستقبل.

وعن علم اللغة الجغرافى يرى أنه أكثر الميادين خصباً لأنه أقل الفروع حظاً من عناية الباحثين(٢) ويعلق الدكتور عبدالصبور شاهين على حفاوة ماريوباى الشديدة بهذا الفرع فى مواضع كثيرة من كتابه بقوله : «حتى لنكاد نظن أنه هو الذى أبدع فكرته وشرع منهاجه ولكن النظرة السريعة فى كتاب دى سوسير ترينا أنه قد خصص لعلاج مسائل هذا العلم القسم الرابع من كتابه محاضرات فى علم اللغة. فقد جعل عنوانه : Linguistique geographique وكان حديثه فى هذا القسم عن تنوع اللغات وتعقد التنوع الجغرافى وتعايش اللغات فى بقعة معينة، وعن اللغات الأدبية والرطانات المحلية، ثم تحدث عن أسباب التنوع الجغرافى، والزمن عنصر أساسى فيه، وعن تأثير الزمن فى الرقعة الممتدة وعن أن اللهجات ليست لها حدود طبيعية وكذلك اللغات.

(١) نقله إلى اللغة العربية الدكتور أحمد مختار عمر.

(٢) أسس علم اللغة، ص ٢٣٧ وما بعدها.

ثم تناول الفصل الأخير مسألة انتشار الموجات اللغوية وخصائص هذا الانتشار»(١) ويختم تعليقه فى هذا الصدد بقوله :

«ومعنى ذلك أن دو سوسور قد وضع المنهاج النظرى على الأقل لما سماه علم اللغة الجغرافى بحيث يمكن اعتبار كل من جاءوا بعده امتداداً له فى سائر الأوطان وحسبنا أن نلاحظ فى كتابه هذا التتابع الرائع فى معالجته للفروع الثلاثة لعلم اللغة العام وهى :

١ - علم اللغة الوصفى Linguistique Synchronique .

٢ - علم اللغة التاريخى Linguistique Diachronique .

٣ - علم اللغة الجغرافى Linguistique Geographique(٢) .

فقد اضطر علم اللغة أن يصطنع خرائط وأن يقتبس طرق الجغرافيا موضع الحدود اللغوية(٣) للهجات المختلفة، وأن يتبين معالم كل لهجة، ويفرق بين اللغات بعضها وبعض فى خرائط يدون عليها الظواهر اللغوية المختلفة التى تسجل أدق الفروق فى نطق الأصوات والمفردات، وتبين ظواهر اللغات المختلفة واللهجات وحدود التداخل بينها. وأن يتتبع خط سير الظاهرة اللغوية والمناطق التى تمتد عبرها ونقط تجمع الظواهر المتنوعة.

ودراسة المفردات دراسة واسعة من حيث البناء والمترادفات المتعددة للمعنى الواحد بتعدد المناطق واختلاف الألفاظ باختلاف الأقاليم اللغوية مقدار انتشار الكلمات فى الأقطار والأقاليم مما يساهم فى توضيح الواقع

---

(١) فى علم اللغة العام، ص ٢٠.

أنظر : دى سوسير (السابق) .Quatriéme Partie

Linguistique Géographique - Chapitre Premier, II/III P. 261-280.

(٢) السابق، ص ٢٠.

(٣) هامش ص ١٥.

اللغوى ونقله على خرائط تعكسه فى دقة سواء ما اتصل منه باللغات المشتركة أو الخاصة أو الأدبية أو اللهجات الاجتماعية أو الاقليمية أوالعاميات.. وهكذا.

وتسجيل هذه اللهجات المختلفة سواء كانت إقليمية أو اجتماعية أو عامية فى الأقاليم والأقطار المختلفة. يرجعنا إلى مداخل تاريخية هامة بالإضافة إلى أن من فوائده :

* دراسة اللهجات لذاتها دراسة علمية عميقة ومعرفة تطوراتها.

* كما أن فى دراسة اللهجات ما يتيح لنا كتابة تاريخها فى عصورها المختلفة ويمدنا ذلك بالوسائل العلمية الدقيقة فى معرفة أقرب هذه اللهجات صلة بالفصحى وأبعدها عنها.

* كما يتيح ذلك لنا مقارنة بين اللهجات المختلفة. واللغة المشتركة (اللغة الفصحى).

* كما أن عمل الأطالس اللغوية يكمل الدراسات التى تعتمد على النصوص فهو يكشف عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية.

كما أن الأطالس تطلعنا على تاريخ علم الأصوات والثغرات التي أصابت اللغة المعنية بالدرس فى الأماكن المختلفة التى غزتها. وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها.

وإن عمل أطلس لغوى للهجات العربية القديمة وكذلك للهجات العربية الحديثة سيحدث أثراً كبيراً فى كل الدراسات الخاصة بفقه اللغة العربية.

يقول العالم اللغوى السويسرى يود : «إن من المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشعب الفرنسى أو الأسبانى أو الإيطالى إلا إذا عرفت اللغات المحلية فى تلك البلاد ودرست دراسة عميقة».

وذلك لأن دراسة اللهجات يمكن أن تفيد المؤرخين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع..

الأطالس اللغوية

وعن الأطالس اللغوية وطرق تحضيرها.

قام عالمان لغويان جليلان هما جلبيرون الفرنسي، وفنكر الألماني، فقد قام كل منهما بعمل أطلس لغوى لبلاده وقد ظهر الأطلس اللغوى لفرنسا عام ١٩٠٦ . أما الأطلس الألماني فقد نشر منه ما يقرب من خمسين خريطة.

وتحتضن سويسرا الآن فكرة الأطالس اللغوية بالإضافة إلى أنها انتقلت إلى بقية دول العالم. تقريباً.

وللأطالس اللغوية طريقتان : الطريقة الألمانية طريقة فنكر، والطريقة الفرنسية طريقة جلبيرون، غير أن الطريقة الفرنسية هى الطريقة السائدة الآن فى عمل الأطالس اللغوية(*) .

(*) أنظر : اللهجات واللغات الخاصة فى اللغة لفندريس ص ٣٠٩، وأنظر : هامش نفس الصفحة (١) «عن اللهجات أنظر : أسكولى Ascoli : L'Italian dia Lettale»، «واللهجات الإيطالية» رقم ٤١، مجلد ٨، ص ٩٩-١٢٠؛ ل. جوشا L. gouchat gibt es Mundartgrenzen «هل توجد حدود لهجية» ورقم ٢٥ مجلد ١١١ ص ٣٦٥-٤٠٣ (١٩٠٤)، تابولت Tappolet ، «فى أهمية الجغرافيا اللغوية» نشر فى Festschrift Morf ص ٣٨٥ وما يليها، ى هوبر J. Huber : «الجغرافيا اللغوية» رقم ٣ مجلد ١ ص٨٩ وما يليها. وأنظر خاصة مؤلفات الأساتذة جيليرون ويابرج، وترفشيه.

أما عن «اللغات الخاصة» عامة فأنظر لاش Lasch نشرات جمعية علم الإنسان بفينا "Mitteilungen der Anthrop gesellschaft" ، فينا (١٩٠٧)، فان جنيب Van gennep رقم ١٤ (١٩٠٨) مجلد ١ ص ٣٢٧، رقم ٧٤.

* واقرأ : قضايا لغوية. د. كمال بشر : التوزيع الجغرافى للغة واللهجة والتعرف عليهما من ص ٢٦ وما بعدها.

* واقرأ : محاضرات فى علم اللغة. د. أحمد مختار عمر بكلية دار العلوم ١٩٦٨/٦٧ اللغة واللهجة ص ١١٠، والأطالس اللغوية ص ١١١.

* وأنظر : د. عبدالصبور شاهين : فى علم اللغة العام : الجغرافيا اللغوية أهمية العلم ١٣٩.

الأطالس اللغوية ضرورة حضارية ١٤١.

الأطالس اللغوية ضرورة علمية ١٤٢ واقرأ إلى ص ٢٠٨.

أما شعبة الدياليكتولوجيا (Dialectology)(*) أى (اللهجات والعاميات)(١). فهى وثيقة الصلة بالجغرافيا اللغوية.

وهذه الشعبة الآن من الشعب التى اتسع نطاق البحث فيها إتساعاً كبيراً على نحو ما رأينا فى دراسة التراث من إهمال للهجات فقد رأى بعض المحدثين فى بادئ أمر هذه الشعبة أيضاً أنها تمثل خطراً على لغة الأدب. ورأوا أن فى اللغات الفصيحة والقديمة مجالا واسعاً للبحث كما رأوا أن النقب فى بطون اللغة قد يكون أجدى وأنفع للغة بالإضافة إلى أن علماء اللغة آثروا الدراسة الهادئة على الدراسات الميدانية التى تتطلب الارتحال والاختلاط.

ويعد جاستون باريس أول فرنسى نادى بوجوب دراسة اللهجات الشعبية وأنشأ بمعهد الدراسات العالية بفرنسا Ecole Pratique des Hautes Etudes قسما خاصا لهذه الشعبة.

وكذلك العالمان الإيطاليان كورنو Cournu وأسكولى Ascoli وكذلك تورتولون Tourtoulon وبرنجييه Bringuiet وأنطوان توماس Antoine Tomas وألبرت توزا Albert Dauzat من علماء فرنسا لهم جهود فى دراسة اللغات الشعبية الأوروبية(٢).

(*) إقرأ : ج. فندريس : اللغة، الفصل الثانى، اللهجات واللغات الخاصة ص ٣٠٩ وما بعدها وقد أشار إلى مراجع هامة منها تابولت "Tappolet" فى أهمية الجغرافية اللغوية.

(أنظر : هامش ١ ص ٣٠٩).

وإقرأ : Language by Leonard Bloomfield.

Chapter 19 - Dialect Geography P. 321/345.

وإقرأ : Language; Edward Sapir. Chapter IX How Language Influence Each other P. 122/220.

(٢) أنظر : ص ٦١ من كتاب علم اللغة، د. على عبدالواحد وافى، وأنظر مراجعه.

إقرأ عن مؤلفات هؤلاء العلماء فى هذا المصدر (السابق).

وتنتمى مباحث هذه الشعبة Diactologegui إلى فرع كبير من فروع علم اللغة وهو علم حياة اللغة Vie du Langage الذى يبحث فى حياة اللغة وما يطرأ عليها وما تتعرض له من انقسام إلى لهجات ولغات عامية وتعدد مظاهرها تبعاً لتعدد فنونها ووجوه استخدامها، وما تقوم به من صراع لغوى ونتائجه وهذا صنو فرع آخر من علم اللغة يبحث فى أصل اللغة ونشأتها Origine du Langage وذلك الفرع الكبير من فروع الدراسات اللغوية يبحث فى نشأة اللغة والأدوار التى اجتازتها اللغة فى مراحلها المختلفة.

وإن كان يؤخذ على هذا الفرع من فروع الدراسات اللغوية أن المباحث فيه تتألف من آراء فردية ظنية تعتمد فى بعض نواحيها على الحدس والتخمين، أوعلى حجج لا يطمئن التحقيق العلمى إليها ولا تثبت أمام البحث الدقيق ومن هنا رأى كثيرون إلحاقه بالبحوث الميتافيزيقية الفلسفية، لذلك لا يكاد يعرض المحدثون له واعتبروه مثالا من البحوث اللغوية فى أدوارها الأولى.

وإذا كان العالم اللغوى السويسرى يود يقول :

«إن دراسة اللهجات تفيد المؤرخين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع. فإن من فروع الدراسات اللغوية علم النفس اللغوى. وكذلك علم اللغة الاجتماعى.

علم النفس اللغوى

هناك روابط مختلفة بين الدراسات النفسية والظواهر اللغوية، فالذاكرة والتخيل وابتداع المعانى والإدراك والانتباه والحلم والحالات الوجدانية والشعور.. يمكن على ضوء فهمها تفسير كثير من الظواهر اللغوية.

وقد كتب هينرى ديلاكروا كتابه «اللغةوالفكر» وكتب فرديناند بريتو كتابه «الفكر واللغة» وكتب كثيرون عن الروابط المختلفة بين اللغة والفكر، كما يذهبون إلى أن اللغة ضرورية للفكر حتى فى حالات التفكير الشخصى ويقولون : الإنسان يفكر فيما بينه وبين نفسه فى أثواب من اللغة.

ومن ناحية أخرى فإن اللغة ليست أداة عقلية فحسب بل فى اللغة عنصر إنفعالى وعاطفى فالإنسان يتكلم ليؤثر فى غيره وليعبر عن شعوره وعواطفه كما يعبر عن آرائه فهناك ارتباط بين الأفكار والعنصر الانفعالى.

فالعنصران مختلطان فى كل اللغات التى هى نتاج المجتمع والحياة.

ويذهب فندريس إلى أنه لا تكاد توجد جملة مهماكان خطها من الابتدال لا تخالطها عناصر انفعالية(١).

وهذه العناصر يعبر عنها بواسطة التنغيم أو التركيز أو شدة النبر أو سرعة الصوت أو بتلك الإشارة التى تصحب الكلام أو الحركة من اليد أو الوجه فالجملة الواحدة يمكن أن تعبر عن كثير من الوجوه عندما تصاحبها ألوان مختلفة من العناصر المساعدة فى النطق.. تبعاً للنغمات المناسبة فمكونات الجملة لا تكمن فى العناصر النحوية المعروفة فحسب فعلى عالم اللغة والباحث فيها ألا يهمل العناصر غير اللغوية عند تحليله

---

(١) إقرأ : اللغة لفندريس من ص ١٨٢ إلى ص ١٩٤.

للغة وبحثه فيها، وهذا أو ذاك كله مبعثه نواح نفسية واجتماعية بين تأثير وتأثر ذات إيحاءات مختلفة.

ومن ناحية أخرى فإن لغة كل جماعة تتشكل بما يتفق واتجاهاتها الفكرية ومطامحها ونظرتها إلى الحياة فاللغة تعكس حالة الإدراك فى الأمة ووجدانها وثقافتها ونزوعها ومستوى تفكيرها ومنهجها العقلى وتفسيرها لظواهر الكون وفهمها لما وراء الطبيعة.

كل ذلك وما إليه ينبعث صداه فى لغتها(١).

فهناك مباحث متبادلة تدرس العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية من تفكير وتخيل وتذكر ووجدان ونزوع ويتبين الأثر المتبادل لكل منها فى الأخرى.

والباحث اللغوى لا يستطيع أن يستغنى عما تقدمه المباحث النفسية من ظواهر نفسية كالإيحاء والتأثير العاطفى والوجدانى..

وفى مجال علم النفس اللغوى Psychologie du Langage وجه العلماء قسطاً كبيراً من عنايتهم لهذه البحوث وجعلوهاموضوع فرع مستقل وأطلقوا عليه هذا الإسم.

كما كان من مباحثه البحوث المتعلقة بكسب الطفل للغته - ودراسات أمراض اللغة (الأفزيا) Aphasie وتبين للعلماء الصلة التى تربط

---

(١) إقرأ : علم اللغة، د. على عبدالواحد وافى طبعة أولى، ص ٢٤٢ وما بعدها.

V-Vannier : L'Esprit et les Moeurs d'une nation d'aprés Sa Langue.

بين مظاهر اللغة ومختلف المظاهر العقلية. فجعل كل من علماء اللغة وعلماء النفس شعبة من مباحثهم تهتم بهذه الدراسة(٢).

---

(٢) لبالى "Bally" بالفرنسية كتابان : اللغة والحياة، وبحث فى علم الأسلوب. ولبولان "Paulhan" الوظيفة المزدوجة للغة "Double Fonction du Langage"

ولبوردان "Bourdon" التعبير الطبيعى عن العواطف، واتجاهات اللغة.

ولبرونو "Brunot" اللغة والتفكير.

وجيوم "Guillaum" كتابه بالفرنسيه «التقليد عند الطفل» والقسم الثانى من كتابه «وقفة على التقليد فى اللغة».

ولفان جينيكين "Van Ginneken" بالفرنسية أصول علم اللغة النفسى.

وباولوفيتش "Pavlovitch" له بالفرنسية «لغة الطفل».

وسان بول "Saint-paul" له بالفرنسية «الكلام النفسى».

وسيجلاس "Seglas" بالفرنسية أيضاً «أمراض اللغة».

وفردريك جارلاندا "Fredric Garlanda" له بالإيطالية «فلسفة اللغة».

وهنرى دولاركوا "Henri Delacroix" له «اللغة والتفكير» باريس ط ثانية ١٩٣٠ Le Langage et la pensée.

واقرأ : فى اللغة والفكر، د. عثمان أمين، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧.

واقرأ : علم اللغة، د. على عبدالواحد وافى صفحات ٦٣، ٦٤، ٦٥ وهوامش هذه الصفحات، ط ٧.

علـم اللغـــة الاجتمــاعى

Saciologie Linguistique

مرحلة من الدراسة تتعرض لدراسة اللغة على مستوى اجتماعى ودور اللغوى فى هذه المرحلة ملاحظة التفاعل بين كل من اللغة والمجتمع وتأثير كل منهما فى الآخر معتمداً على مبادئ كل من علم اللغة وعلم الاجتماع(١) وهذه الدراسة توضح العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر المجتمع ونظمه وتركيبه والبيئة الجغرافية والمدنية فى مختلف الظواهر اللغوية(٢).

وقد اتصل علم اللغة اتصالا وثيقاً بالعلوم الاجتماعية وخاصة بعد أن وقف فرديناند دى سوسير Ferdinand De Saussure قسطاً كبيراً من جهوده العلمية على هذه البحوث، واللغوى فندريس Vendryes الذى نشر كثيراً من أعماله فى هذا الصدد فى المجالات العلمية(٣). وكذلك العلامة مييه Meillet(٤) الذى أسهم ببحوث لغوية قيمة فى التقويم الاجتماعى Année Sociologique وهو من أهم المجالات الأوروبية فى علم الاجتماع(٥).

وهذا كله بفضل المدرسة الاجتماعية التى أنشأها دور كايم Durkhiem وصارت بحوث هذه المدرسة أساساً للبحوث اللغوية. فلكون الإنسان كائن

---

(١) قضايا لغوية، ص ٦.

(٢) إقرأ : علم اللغة، د. على عبدالواحد وافى ص ٦٦ وما بعدها.

(٣) على سبيل المثال نشر بصحيفة علم النفس "Journal de Paychologie" بحثاً بعنوان : اللغات وصفاتها الاجتماعية ومذهب سوسور.

وأنظر : علم اللغة، د. وافى، ص ٦٧، هامش (٢).

(٤) جرت العادة أن تطلق على هؤلاء إسم علماء اللغة المحدثين "Néo Linguistes" .

إقرأ : السابق.

(٥) من هذه البحوث بحثه فى المجلد التاسع عام ١٩٠٦ بعنوان : «كيف تتغير معانى الكلمات» وأنظر السابق أيضاً.

اجتماعى طبقوا نظريات علم الاجتماع العام على اللغة وبينوا كيف يؤثر المجتمع بنظمه وحضاراته المختلفة أكبر الأثر فى البحوث اللغوية(١).

والذى يهمنا من هذا أن اللغة سجل واضح وأمين لصور المجتمع المختلفة وهى أداة للتعبير عما يدور فى المجتمع من حضارة ونظم وعقائد واتجاهات فكرية وتيارات اجتماعية وثقافية وفنية واقتصادية بينها وبين هذه تأثير وتأثر وتفعل مستمر(٢).

بقى أمامنا أمران :

* مناهج الدراسة اللغوية.
* ومستويات التحليل اللغوى.

---

(١) إقرأ : ما يقوله فندريس فى كتابه اللغة، من أن اللغة تنشأ من احتكاك بعض الأشخاص ممن يملكون حواساً سليمة ويستعملون فى علاقاتهم الوسائل التى وضعت تحت تصرفهم كالإشارة إذا أعوزتهم الكلمة والنظرة إذا لم تكف الإشارة.

فاللغة نتاج الاحتكاك الاجتماعي عنده، كما أنها واحدة من أقوى العرى التى تربط الجماعات.

(٢) إقرأ : أثر العوامل الاجتماعية والنفسية والجغرافية فى خصائص اللغة وتطورها ونقد نظرية دى سوسور "De Soussure"، من ص ٢٥٧ فى علم اللغة د. وافى.

واقرأ : اللغة والمجتمع، نشر دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

واقرأ له أيضاً : نشأة اللغة عند الطفل والإنسان، مكتبة غريب، شارع كامل صدقى الفجالة.

واقرأ : لغتنا والحياة، د. عائشة عبدالرحمن، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧١.

واقرأ : اللغة والمجتمع، تأليف م.م. لوي، ترجمة د. تمام حسان ومراجعة د. إبراهيم أنيس، عيسى البابى الحلبى وشركاه، ١٩٥٩.

واقرأ : اللغة والمجتمع، رأى ومنهج، د. محمود السعران، ط. ثانية، دار المعارف ١٩٦٣.

واقرأ : فى علم الاجتماع اللغوى، اللغة بين الفرد والمجتمع، تأليف زوتو جيرش ترجمة بتصرف وعلق عليه د. عبدالرحمن أيوب، وأنظر مراجعه ص ٢٤٠.

واقرأ : تاريخ اللغة العربية فى مصر، د. أحمد مختار عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠.

واقرأ : اللغة وعلوم المجتمع، د. عبده الراجحى. ط. ١٩٧٧.

مناهج البحث فى اللغة

مناهج الدراسة إما وصفية أو تاريخية أو مقارنة.

بالتسليم بنظرية التطور والتسليم معها بأن اللغة مجموعة من الحقائق التى تستقل كل منها عن الأخرى أصبح من الممكن للباحث اللغوى أن يدرس تاريخ كل حقيقة مستقلة عن بقية الحقائق الأخرى فيتعرض لنشأتها والأدوار التى مرت بها.

كما أمكن له أن يدرس أيضاً الحقائق فى ذاتها وعلاقاتها بعضها ببعض بصرف النظر عن تاريخها.

لا يصح الخلط بين الاتجاهين وما وقع فيه العلماء السابقون كان نتيجة خلط الحقائق التاريخية بالحقائق الوصفية(١).

والرأى أن تسبق الدراسة الوصفية الدراسة التاريخية.

وبجانب هذين المنهجين يوجد المنهج المقارن ولابد أن تسبق الدراسة المقارنة أيضاً بالدراسة الوصفية يقول بلومفيلد(٢) : «إن ظهور التيار

---

(١) إقرأ : أصوات اللغة، د. عبدالرحمن أيوب، ص ٣، ٤.

(٢) إقرأ : بليومفيلد : اللغة.

Bloomfield : Language : Chapter 18, The Comprative method P.P. 297-320.

وإقرأ : مقدمة كتابنا فى علم اللغة التاريخى.

وإقرأ : David Cristal, What is Linguistics? What linguistics is ?

وإقرأ : H.A. Gleason, An Introduction to Descriptive Linguistics.

وإقرأ : اللغة بين المعيارية والوصفية. د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨.

وإقرأ : عن الدراسة الصوتية أساسية للدراسة اللغوية التاريخية والدراسة اللغوية المقارنة ص ١٣٥.

علم اللغة د. السعران.

وإقرأ : عن أصول النحو الوصفى السابق، ص ٢٥٧. والنحو المقارن ٢٦٢. الدراسة اللغوية الوصفية ٢٦٢-٢٦٤. والدراسة اللغوية التاريخية واللغوية المقارنة إلى ص ٢٧١. =

التاريخى المقارن، والتيار الفلسفى الوصفى فى الدراسة اللغوية فى أواخر القرن التاسع عشر يدل على أن الدراسة التاريخية للغة تتوقف درجتها دقة وإتقاناً على درجة الدراسة الوصفية للغة موضوع الدرس وعلى إتقانها وأن كل تقدم منهجى يؤيد هذه الحقيقة».

فلابد أن تسبق الدراسة المقارنة دراسة وصفية لأن الدراسة الوصفية أساس الدراسة المقارنة. كما أن الدراسة الوصفية أساس الدراسة التاريخية فكل وصف تاريخ فى لحظة ما.

فالدراسة الوصفية أساس الدراسة المقارنة والدراسة التاريخية معاً فهى ضرورية أولاً وتسبق المقارنة والتاريخية.

= واقرأ : فى علم اللغة العام، د. عبدالصبور شاهين ودراسات لغوية، د. عبدالصبور شاهين - المنهج الوصفى والمنهج التاريخى ص٨. واللغة العربية وفائدة التركيز على المنهج التاريخى ص ٢١.

واقرأ : فقه اللغة المقارن : د. إبراهيم السمرانى - دار العلم للملايين بيروت.

واقرأ: مدخل إلى علم اللغة : د. محمود فهمى حجازي - الفصل الثانى - علم اللغة مجالاته ومناهجه.

واقرأ : اللغة العربية عبر القرون : د. محمود فهمى حجازى - من ص ١-٣٣.

الفصل الثالث

مستويات التحليل اللغوى

مستويات التحليل اللغوى(١)

جرت عادة اللغويين المحدثين أن يدرسوا اللغة عند تحليلها على مستويات متعددة، وذلك لأنه ليس من اليسير دراستها دفعة واحدة، فاللغة عملية معقدة إلى حد كبير.

وهناك خلافات حول مستويات الدراسة التحليلية هذه، ليس هنا مجال التعرض لها، غير أن الرأى الذى نذهب إليه هو أن تدرس اللغة على المستويات الآتية :

---

(١) إقرأ روبينز :

R.H. Robins : General Lingnistics an introductory survey.
1.3 The Rang of General Linguistics P. 11-20.
1.3.1 Levels of analysis.
1.3.4 Phonetics, Phonology, Grammar' Semantics; P. 17-30.

واقرأ : دراسات فى علم اللغة قسم أول وثان، دكتور كمال بشر.

وعلم اللغة، د. على عبدالواحد وافى.

ومقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج، الباب الخامس، من ص ١٢٢ وما بعدها. ومدخل إلى علم اللغة، د. محمد فهمى حجازى، الفصل الثالث، من ص ٣١ وما بعدها. ومحاضرات فى علم اللغة، د. أحمد مختار عمر (١٩٦٧-١٩٦٨) من ص ١٦ وما بعدها.

المستوى الصوتى

١ - **المستوى الصوتى** (بقسميه) الفوناتيك (Phonatics) والفونولوجيا (Phonology)(١). فكلاهما يبحث فى أصوات اللغة. الأول يدرس الأصوات التى تتألف منها مادة الكلام الإنسانى مع بيان صفاتها العامة والخاصة وأقسامها وخواص كل قسم. كما يدرس جهاز النطق وتشريحه ومخارج الحروف(٢).

ويهتم كذلك بجانب الإدراك الصوتى بواسطة الأذن والأعضاء الملحقة بها ويطلق عليه هنا إسم (Auditory phonetics)(٣).

كما يهتم أيضاً بدراسة تأثير هذه الأصوات فى الهواء الذى ينقلها بين السامع والمتكلم ويطلق عليه إسم (Acoustic phonetics)(٤).

---

(١) إقرأ : علم اللغة العام - الأصوات، د. كمال بشر، الفصل الثانى بين الفوناتيك والفونولوجيا، ط. ٤ - ص ٢٨ وما بعدها.

(٢) إقرأ روبنز : Robins : Op. Cit. Phonetics P. 82.
3.1 Articulatory Phonetics.
3.1.1. The Spoken Foundation of Language.

(٣) السابق، Robins : Op. Cit. P. 84.
وإقرأ : Phonetics and auditory phonetics, Respectively

(٤) H.A. Gleason; An introduction to Descriptive Linguistics; 23, acoustic phonetics p. 357.
Robins : Op. Cit. 3.4. acoustic phonetics p. 104-120.

أما الثانى : (Phonology) فيهتم بالتحليل الفونولوجى أى بدراسة وظائف الأصوات فى لغة معينة وتحديد العناصر المكونة لنظامها اللغوى(١) ومنهج تناسقها فى أنماطها الخاصة بها.. كما يدرس النبر(٢). والمقاطع(٣) والتنغيم(٤). والقوانين التى تخضع لها» والنتائج اللغوية التى تترتب على كل منها.. والعوامل التى تنجم عنها.

---

(١) السابق، Op. Cit. 4, Phonology.
4.1. Speech and Writting p. 121.
4.2. Narrow and Broad Transcription phonetics and phonolog p. 125.
4.3. The phoneme principle p. 128.

(٢) 4.3.2. Segmental phonemes p. 129.
4.3.3. Phonemic Analyses of Length and Stress,

(٣) Op. Cit. 4.3.4. The Syllable p. 137.

(٤) Op. Cit. 4.3.7. Intonation P. 148.

المستوى الصرفى

٢ - المستوى الصرفى(١) :

علم الصيغ (Morphology) ويختص فى الدراسة التحليلية للغة بجانب الكلمة من حيث بنائها. ومن حيث التغيرات التى تصيب صيغ الكلمات فتحدث معنى صرفياً. وبالتالى فهو يهتم بالوحدات الصرفية (Morphemes) بأنواعها(٢) :

وحدات صرفية حرة "Free moaphemes" أى توجد مستقلة أو منفصلة. ووحدات صرفية مقيدة Bound morphemes أى لا توجد إلا مرتبطة أى متصلة بغيرها من الكلمات.

أو وحدات صرفية تتابعية Sequential morphemes وهى التى تتابع فيها مكوناتها الصوتية دون فاصل. ووحدات صرفية غيرتتابعية "non Sequential morphemes" أى التى يكون التتابع فيها غير متصل.

---

(١) يرى كثير من اللغويين المحدثين أن علم الصرف "morphology" وعلم التراكيب Syntax يضمهما شئ. واحد وهو علم النحو grammar أنظر على سبيل المثال بلومفيلد، واقرأ من ص ١٥٨.

Leonard Bloomfield : Language. chapter 10. grammatical forms P.158, chapter 12 Syntax p. 184., chapter 13. morphology. p. 207.

ويرى بعضهم أن علم النحو يضم الدراسات الصوتية Phonology والصرفية morphology والتراكيب syntax، واقرأ على سبيل المثال السابق ص ١٨٠.

ومما هو جدير بالذكر أن لهذا الاتجاه نظير فى التراث فقد كان هذا هو التقليد المتبع عند السلف وحتى أبى على الفارسى ومن تبعه من أمثال ابن جنى وعبدالقاهر الجرجانى، إقرأ عالم اللغة، عبدالقاهر الجرجانى، ص ١١٢.

(٢) أنظر : دراسات فى علم اللغة قسم أول وثان للدكتور كمال بشر ص ٨٤.

ومقدمة لدراسة فقه اللغة ص ١٢٤.

ومدخل إلى علم اللغة، ص ٥٥.

ومحاضرات فى علم اللغة، ص ٢٧.

كما يدرس الأنماط الصرفية الخاصة باللغة موضوع التحليل. ومن المعلوم أن لكل لغة أنماطها الصرفية الخاصة بها فاللغات تختلف فى بنية مفرداتها وقابليتها للتحول الداخلى ولطرق الإلصاق وغير ذلك. وتلك هى مهمة هذا المستوى من الدراسة.

مستوى التركيب

٣ - مستوى التركيب(١) :

وهو يدرس التراكيب وطريقة بنائها وصلتها بعضها ببعض، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض وأثر كل جزء منها فى الآخر، وطريقة الربط داخل الجملة وبين الجمل وأجزاء الجملة وترتيبها وترتيب الجمل وصلتها بعضها ببعض. وطريقة وصلها وفصلها وإمكانية تغيير أجزائها. ولكل لغة طرقها وقوانينها فى ذلك. ولهذا العلم فى التراث الإسلامى أصوله التى تتفق مع أحدث ما انتهى إليه اللغويون المحدثون(٢) واتصالا بهذه الدراسات وإنبثاقاً عنها فى الدرس اللغوى الحديث ظهرت مناهج جديدة فى دراسة التراكيب من بينها المنهج التوليدى التحويلى generative transformational grammer.

(١) يمكن أن تقرأ على سبيل التمثيل :

- Leonard Bloomfield, Language, Syntax p. 184.
- R. Robins, general Linguistics.. The Sentence P. 190., Transformational analysis p. 241.
- Aspects of the theory of Syntax by Noam Chomsky.
- English Syntax - alternate edition by paul Roberts
- Language and style by Stephen ullmann.

(٢) أنظر فى ذلك نظرية عبدالقاهر ص ١٨٥، من كتاب عالم اللغة، عبدالقاهر الجرجانى، المفتن فى العربية ونحوها، د. البدراوى زهران.

المستوى الدلالى

٤ - المستوى الدلالى أو مستوى دراسة المعنى اللغوى Semantics(١) :

ويدرس هذا المستوى من التحليل اللغوى مكونات المعنى اللغوى وعناصره واختلاف المعانى باختلاف المنشئين للتراكيب اللغوية. وأهمية الكلمة ودورها فى أداء المعنى اللغوى داخل التركيب. كما يدرس ربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى حاله.... /...... /... ومما هو جدير بالذكر هنا أيضاً أن لهذاالعلم أصوله فى تراثنا اللغوى الإسلامى التى تتفق مع ما انتهى إليه اللغويون المحدثون(٢).

---

(١) إقرأ فى ذلك على سبيل التمثيل :

Stephen Ullmann : Semantics An introduction to the Science of meaning.

(٢) أنظر فى ذلك دراسة المعنى اللغوى عند عبدالقاهر الجرجانى ص ٢٣١، من كتاب علم اللغة عبدالقاهر الجرجانى المفتن فى العربية ونحوها، للدكتور البدراوى زهران.

مستوى دراسة المفردات والمعجم

٥ - مستوى الدراسة المعجمية، (ودراسة المفردات)(١) :

وقد تنوعت فى الدراسات اللغوية الاهتمامات بهذا المجال وتعددت وظهرت مناهج حديثة، وللدراسة الحديثة إتجاهات مختلفة فى دراسة المفردات اللغوية. ولعلماء العربية فى هذا المجال على نحو ما رأينا فيما مر جهود تتمتع بقدركبير من الأصالة والعمق تجل عن الحصر(٢).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هناك من علماء اللغة المحدثين من يرون وجوب ترتيب الدراسة عند التحليل اللغوى على هذه المستويات بحيث نبدأ بالجزء وتنتهى بالكل. ويرون أن العلاقة بين المستويات علاقة ترتيب وهى ضرورية.. الأصوات، ثم وظائف الأصوات ثم الصيغ والمورفولوجيا. ويتبعها دراسة بناء التركيب والجمل، فالدراسة الدلالية ثم دراسة المفردات والدراسة المعجمية.

غير أن هناك من يرى أنه لا ضرورة لذلك وأن الدارس يستطيع أن يبدأ بأى مستوى شاء(٣).

ولكن الترتيب على الوضع الذى ذهبنا إليه أمر متفق عليه عند التحليل اللغوى وذلك لأن الدراسة الصوتية ممهدة للدراسة الصرفية

---

(١) إقرأ على سبيل التمثيل ج. فندريس : اللغة، الجزء الثالث، المفردات ص ٢٢٥-٢٤٥

R.H. Robins. General Linguistics an introdctory Survey.

(٢) أنظر ما سبق عن المعجم من هذا الكتاب.

(٣) إقرأ : .Leonard Bloomfeeld. Language P. 138

وإقرأ مقال : F.R. palmer, Linguistic Hierarchy المنشور فى مجلة Lingua Vol. VII. 3 .

ومقدمة فى دراسة فقه اللغة، ص ١٢٥.

والنحوية وهى جزء منها وفى خدمتها فإن مستويات الدراسة الصوتية والصرفية والنحوية كلها متعاونة فيما بينها للنظر فى اللغة ودراستها.

فهى تكون فى مجموعها كلا متكاملا، وكل واحد منها مرتبط بصاحبه ولا يجوز الفصل بينها فصلا تاماً فهى ترمى إلى هدف نهائى واحد وهو بيان خواص اللغة المدروسة ومميزاتها»(١).

وعلى الرغم من هذا «فقد ظهرت فى السنوات الأخيرة اتجاهات عند بعض اللغويين الأمريكيين والأوروبيين تنطلق فى التحليل اللغوى من الوحدات الكبرى إلى الوحدات الأصغر ولذا فهى تبدأ بتحليل الجملة وتنتهى بالتحليل الصوتى(٢). وهو اتجاه ممكن فمن المستطاع البدء فى التحليل بالكل والانتهاء بالجزء وستؤدى الدراسة نفس النتائج وهو اتجاه له ما يؤيده من النظرية التربوية حيث إن المرء يدرك الأمر أو الشئ إدراكاً كلياً فى البداية. ثم يبدأ بعد ذلك فى معرفة الجزئيات والتعرف على دقائقه فى مراحل متتابعة. وقد كان مثل هذا التقليد موجوداً لدى اللغويين العرب منذ كتاب سيبويه ومروراً بمن جاءوا بعده فقد بدأ بالدراسة الكلية الجمل والتراكيب والإعراب، ثم اتبع ذلك بالدراسات الصرفية وأبنية الكلمات. ثم ختم بدراسة الأصوات(٣).

إلا أن الرأى الذى نختاره فى تحليل الدراسات اللغوية هو أن يبدأ التحليل بالجزء وينتهى بالكل لأن نتائج الدراسات ساعتئذ يخدم بعضها بعضا ويسلم بعضها إلى بعض.

---

(١) الدكتور كمال بشر، دراسات فى علم اللغة، القسم الثانى، ص ٨٤. واقرأ كتابه فى الأصوات، ص ٢٤٠.

(٢) مدخل إلى علم اللغة د. محمود فهمى حجازى، ص ٢٠.

(٣) ارجع إلى كتب النحو فى التراث منذ سيبويه ومروراً بمن جاءوا بعده، وأنظر : أبا على الفارسى ومن تبعه من أمثال ابن جنى وعبدالقاهر تجد الصرف يأتى بعد النحو ويأتى بعده الأصوات.
(السابق، ص ٢٠).

خاتمة

هدفت الدراسة فى هذا الكتاب إلى تحقيق أغراض من أهمها :

التعريف بعلوم اللغة فى التراث مع تتبع نشأتها ومساراتها، وبيان المناهج التى عولجت بها.

وكثير من الأمور التى درست هنا كانت مجالا غُفْلا فى هذا الصدد.

كما أنها هدفت إلى التعريف بعلوم اللغة لدى المحدثين أيضاً، وبيان المراحل التى اجتازتها، ومجالات أبحاثها وموضوعاتها وصلتها بالعلوم الأخرى واستفاداتها منها، ومناهج دراستها ومستويات التحليل اللغوى عندها.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها ما أثبتته من دور للقرآن الكريم فى المباحث اللغوية حيث إنه مفجر علوم اللغة فى التراث وصاحب الفصل فى نشأتها فبفضل القراءات القرآنية والمهتمين بها نُقط المصحف. واهتدى إلى علل حركات اخر الكلم، وتوصل العلماء إلى علِم العربية.

وناقشت الدراسات أيضاً قضايا على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة من بينها قضية أصالة كتاب سيبويه. وتتبعت الدراسة أطراف القضية المتعددة وتبين أن الهدف منها كان مرة هدم علم العربية من أساسه بجعله تارة منقولا عن الهندية أو اليونانية. وتارة أخرى محاولة هدم أول مصنف فيه وهو كتاب سيبويه وذلك بدءا بالتشكيك فى أصالته وجعله مأخوذاً عن الهندية ومروراً بتناول العصر الذى ألف فيه وجعله لا يتلاءم مع ما عليه علم العربية من نضج وعمق ودقة فى الترتيب والتناول... إلخ. وفى موضوعية وحيدة نوقشت تلك الدعاوى وتبين أنها كلها لا سند لها من دليل، وإنما هى إدعاءات أقاموها على الظن، «وأن

الظن لا يغنى من العلم شيئاً» ورد البحث لعلم العربية مكانته ولكتاب سيبويه أصالته على نحو ما هو مفصل فى موضعه من هذا الكتاب.

ولا تفوتنا هنا أن نشير إلى قضية ونحض على متابعتها ونوصى بها وهى ضرورة إقامة دراسات لغوية متعددة الجوانب حول كتاب سيبويه تتناول ما فى هذا السفر الجليل من قضايا لغوية متعددة وموضوعات هامة متصلة بها سواء منها ما اتصل بالمنهج أو اللهجات أو القراءات أو قضية المطابقة وربطها بالمنطق اللغوى والأرسطى سواء فى ذاك ظاهرة التذكير والتأنيث أو العدد أو دراسة الوحدات الغوية وغيرها من المباحث المتعددة الجديرة بالمعاودة وتسليط أضواء المناهج الحديثة عليها.. وبنوع خاص القضايا التى يظن فيها التأثر بالثقافات الأخرى مثل الدراسات الصوتية وغيرها مما هو على شاكلتها من قضايا متعددة مختلفة على غرار ما صنع (أ - شاءة) فى بحثه الذى عنوانه (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا) وعلى نحو ما صنع أساتذتنا فى هذا العدد الأستاذ عبدالسلام هارون فى تحقيقه لكتاب سيبويه وما قدم من تعليقات عليه هى فى غاية النفع للدارسين فى هذا المجال(١) والدكتور عبدالصبور شاهين فى بحثه درس فى المنهاج التاريخى(٢).

---

(١) أنظر : النسخة التى حققها في خمسة أجزاء وما عليها من تعليقات الجزء الأول، نشر دار القلم (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)، والجزء الثانى، نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، والجزء الثالث، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م والجزء الرابع، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م، والجزء الخامس نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)

(٢) إقرأ : د. عبدالصبور شاهين فى كتابه «فى التطور اللغوى» درس فى المنهج التاريخى من ص ٢٠٧ إلى ص ٢٢٩. وإقرأ ما كتبه عن صفات الأصوات عند سيبويه ص ٢٣٠ إلى ٢٤٦ وإقرأ أيضاً صورة أخرى لتفكير سيبويه فى الجانب الأداتى من ص ٢٤٦-٢٥٣.

وناقشت الدراسة أيضاً مصادر المادة اللغوية ومنهج جمعها ودراستها واستقصى البحث فى تحليل ما دار بخصوصها من مناقشات وأراء فى القديم والحديث ورأى أن ما فات السلف ينبغى أن يتداركه الخلف، فقد كان هدف السابقين خدمة العربية لغة القرآن الكريم فلم يصدر عنهم التحديد الزمانى والمكانى للغة المدروسة إلا بقصد أن ينأوا بالعربية عن كل ما ينال من خصائصها أو يجد سبيلا إلى المساس بها مما يحرفها عن مواضعها وهى عندهم فوق أن تمس، فالهدف نبيل والوصول إليه ثمنه غال فقد حرموا على أنفسهم دراسة كل مستوى لهجى للقبائل العربية المختلفة وحصروا أنفسهم فى عدد القبائل. كما حرموا على أنفسهم دراسة حقبها المتلاحقة ففاتهم خير كثير. وفوتوا على العلم حقائق ينبغى ألا تفوت على المحدثين والدرس اللغوى الآن فى حاجة ماسة إليها ومن هنا تبدو أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة والتوصل إليها بكل وسيلة من الوسائل وما أكثرها. ودراسة اللهجات الحديثة فى كل الأقاليم الناطقة بالعربية وأن يربط بينها فى دراسة مقارنة تبين الخصائص اللهجية المتشابهة فى القديم والحديث فهناك من الخصائص والظواهر اللهجية المتعددة ما هو ممتد الجذور فى اللهجات القديمة مع الاستعانة فى هذه الدراسات بما يمدها به علم الساميات، والربط فى هذا بين الظواهر المتشابهة فى اللهجات الحديثة والقديمة واللغات السامية وسوف تطلعنا تلك الدراسات على أمور ذات أهمية بالغة فى هذا الميدان مع ملاحظة أن مباحث العلوم الأخرى ستكون ذات أثر نافع فى هذه المباحث مما يتصل بخصوص هجرات القبائل العربية وتحديد مواطن استقرارها وكيفية انتشارها والعوامل التى ساعدت على انتشار لهجاتها أو انحسارها، وسوف تكون المباحث اللغوية هنا ذات أثر متبادل فسوف تكون هادية للباحثين الاجتماعيين

والجغرافيين والمؤرخين... إلخ.

كما يوصى البحث فى هذا الصدد بعمل أطالس لغوية جغرافية لتلك اللهجات القديمة والحديثة وسوف تكشف تلك الأطالس عن نقاط الالتقاء بين الظواهر اللغوية المختلفة مما يكون له الأثر البالغ فى الدرس اللغوى الحديث.

مع الاستعانة بالمنهج الوصفى فى حالات من أهمها الدراسة الخاصة باللهجات العامية. وبالمنهج التاريخى للهجات القديمة فى دراسة وتتبع الناحية الحركية فى الظواهر اللغوية المختلفة، وذاك يتبع حركة الظواهر اللغوية المختلفة عبر الزمن.

والاستفادة بالمنهج المقارن فى حالات الدراسة المقارنة بين الخصائص والظواهر اللغوية فى اللهجات الحديثة أو القديمة أو الربط بينها وبين مثيلاتها فى اللهجات العربية القديمة، أو عند دراسة مثيلاتها فى اللغات الساميات.

ففى الوصل بين اللهجات العربية قديمها وحديثها ووصل العربية بأخواتها الساميات عندما تتم مثل تلك الدراسات ستكون الفائدة العائدة على الفصحى فائدة كبرى لاشك فى ذلك.

وأما عن اللغة وصلتها بالمنطق فكان من الطبيعى أن يتم لقاء بين الفكر اللغوى والمنطق بسبب الاحتكاك الثقافى وانفتاح الفكر الإسلامى آنذاك واتصاله بالحضارات المختلفة، كما أن التأثير والتأثر بين الحضارات أمر ضرورى ولا غبار عليه ولكن العيب فى الإسراف فى تطبيقه كما حدث فى بعض الحالات على نحو ما هو واضح فى موضعه من الكتاب وهنا توصى الدراسة بضرورة عمل أبحاث مختلفة عن ظواهر التأويل والتشذيذ وإهمال النصوص فى بعض الحالات أو تخطئ الصحيح فإن مثل هذه

الأبحاث عندما تتخذ من المناهج الحديثة أداة لها سوف ترينا فى تلك الأمثلة التى خالفت القياس أو خرجت عليه حقلا خصبا يعطى نتائج لغوية ذات أهمية بالغة تكشف عن طرق الأداء عند بعض القبائل وتلقى أضواء على ظواهر لغوية كثيرة ذات صلة بالطبيعة الجغرافية والبيئية فى ذلك العصر. كما أنها ستكشف عن مدى أطراد القواعد اللغوية مع المنطق وعن علاقة ذلك وصلته بمراحل نمو الظواهر اللغوية المختلفة سواء منها ما يتصل ببنية الكلمة أو ببنية التركيب أو حالات الإعراب ومراحله ومثل هذه الأبحاث سوف تعطى الدراسة الظواهر اللغوية المختلفة دقة تنبع من إرتباط اللغة بالواقع الاجتماعى وطبيعة دورها وتأثرها وتأثيرها وتلك علاقات تعطى التفسير العلمى للخروج أو الشذوذ.. فبمقدار تفاعل اللغة مع الواقع الاجتماعى فى أداء دورها وغرضها وهو الإبانة ووضوح الدلالة المطلوبة فى الموقف يتم التواؤم بين الصحة الداخلية والخارجية للتركيب بصرف النظر عما يراه المناطقة من خروج أو مخالفة للدقة النطقية المطلوبة عندهم.

كما أوصى أيضاً بمتابعة دراسة التأثيرات المختلفة التى نجدها فى حقل الدرس اللغوى على نحو ما هو موجود فى كتب اللغة ابتداء من كتاب سيبويه ومروا بمن تبعه حتى أبى عن الفارسى وابن جنى وعبدالقاهر ومن جاء بعدهم على نحو ما سقناه من أمثلة فى موضعها من الدراسة داخل الكتاب. وقد كان هدفنا من عرض أبعاد كتاب العوامل المائة لعبدالقاهر بيان أبعاد المجالين معاً مع إلقاء ضوء تتحدد معه أبعاد منهج الدراسة فى هذا الاتجاه التقليدى على نحو ما أوضحناه فى موضعه.

أما عن المباحث الموجودة فى التراث والخاصة بفقه اللغة والثروة اللفظية والمعاجم وما إليها فإننا نوصى بإقامة الدراسات حولها وإعادة

إخراجها ونشرها مع عمل الدراسات اللغوية الخاصة بها بعد تصنيفها فى مجالاتها وذلك سوف يضاعف النفع بها وكذلك عن طريق عمل دراسات ومباحث لغوية متنوعة الاتجاهات تجمع بين جهود العلماء الذين اتحدت غاياتهم وفرقتهم الأماكن أو العصور.

مع نشر مخطوطاتهم وتحقيقها فى هذا المجال وما أكثرها.

وقد عرضت الدراسة فى هذا الكتاب أيضاً لعلوم البلاغة التقليدية وأوضحت كيف أنها امتداد لمباحث لغوية اتخذت مسارات متنوعة انتهت إلى ما عرف بالعلوم البلاغية وإن ما تضمنته هذه المنصفات من بحوث لغوية جديرة بأن تشحذ نحوها همم الباحثين ففى تسليط أضواء الدراسات الحديثة عليها نفع كبير للعربية وإثراء للدرس اللغوى فقد كانت الرغبة فى فهم أسرار إعجاز القرآن الكريم وإقامة الأدلة العلمية على إعجازه هى مفجر تلك العلوم.

ومن خير ما نوصى به هنا الانتفاع من مناهج البحث اللغوى الحديثة وربطها بالتراث ففى تراثنا من الزاد العلمى ما يكفى لإقامة صرح شامخ من نهضة علمية ذات أصل ثابت وفرع فى السماء.

«والله يقول الحق وهو يهدى إلى السبيل».

مراجع الكتاب ومصادره

أولاً : المراجع العربية :

١ - إبراهيم السامرائى (الدكتور)، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨.

٢ - إبراهيم أنيس (الدكتور)، «دلالة الألفاظ»، ط٢، ١٩٦٣. «فى اللهجات العربية»، ط٢، ١٩٥٢. «من أسرار اللغة»، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٥٨.

٣ - إبراهيم مصطفى (الأستاذ) : «إحياء النحو لجنة التأليف والترجمة والنشر»، ١٩٣٧. «أول من وضع النحو»، بحث ألقى فى المؤتمر الحادى والعشرين للمستشرقين فى باريس (٢٣-٣١)، يوليو ١٩٤٨م

٤ - إبراهيم سلامة (الدكتور): «بلاغة أرسطو بين العرب واليونان»، القاهرة. «كتاب الخطابة لأرسطاليس»، ترجمة وقدم له وحقق نصوصه وعلق حواشيه.

٥ - ابن جنى (أبو الفتح عثمان) : «الخصائص»، ثلاثة أجزاء تحقيق : محمد على النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢-١٩٥٧. «سر صناعة الإعراب»، تحقيق : الأستاذ/ مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى بابى الحلبى بالقاهرة، ١٩٥٤. «المنصف فى شرح التصريف» لأبى عثمان المازنى، تحقيق : الأستاذ/ إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، مطبعة الحلبى، القاهرة.

٦ – ابن حجر (العسقلانى) : «الإصابة»، مطبعة مصطفى محمد – القاهرة، ١٣٥٨هـ.

٧ – ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) : «المقدمة» تحقيق : دكتور/ على عبدالواحد وافى – القاهرة – ١٩٦٢م والطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣١١هـ.

٨ – ابن أبى داود (أبو بكر عبدالله) : «كتاب المصاحف» نشر بإشراف وتقديم آرثر جفرى.

٩ – ابن الأثير (المبارك بن محمد بن محمد الجزرى) : «النهاية فى غريب الحديث والأثر» (معجم لغوى)، خمسة أجزاء – تحقيق : محمد الطناحى وغيره – دار إحياء الكتب العربية.

١٠– ابن السكيت (يعقوب الحمحى) : «كتاب الألفاظ» طبع فى المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٥م بعناية الأب لويس شيخو وقد ضم إليه فى حواشيه شرح التبريزى المسمى تهذيب الألفاظ، كما ضم فى الصلب بعض زيادات التبريزى وسمى عمله هذا (كنز الحفاظ) ثم أفرد الصلب وحده مع بعض الزيادات وسماه (مختصر تهذيب الألفاظ) وطبعه فى المطبعة السالفة سنة ١٨٩٧م.

١١– ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم) : «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» – تحقيق : دكتور/ إحسان عباس – دار صاد – بيروت.

١٢– ابن الأنبارى (عبدالرحمن بن محمد) : «الإغراب فى جدل الإعراب» – مطبعة الجامعة السورية – طبعت مع رسالة لمع الأدلة.
«الإنصاف فى مسائل الخلاف» تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد – ط – مطبعة السعادة. «نزهة الألباء فى طبقات

الأدباء» – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط المدنى القاهرة ١٩٦٧م

١٣– ابن شاكر الكبتى (محمد بن أحمد) : «فوات الوفيات» – طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد – جزءان – القاهرة ١٩٥١.

١٤– أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه – ت ١٨٠هـ تقريباً : «الكتاب» – تحقيق : الأستاذ/ عبدالسلام هارون.

١٥– ابن فارس (أبو الحسن أحمد – ت٣٩٥هـ) : «الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها» (بيروت لبنان ١٩٦٤م/١٣٨٣هـ).
«معجم مقاييس اللغة» – تحقيق : الأستاذ/ عبدالسلام هارون – ط. دار الكتب العربية (عيسى الحلبى ١٣٦٨هـ).

١٦– ابن سنان الخفاجى (أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد) : «سر الفصاحة» – تحقيق : على فودة – ١٣٥٠هـ.

١٧– ابن دريد (محمد بن الحسن) : «جمهرة اللغة».

١٨– ابن سلام (أبو عبدالله محمد بن سلام) : «طبقات الشعراء».

١٩– ابن سيدة (أبو الحسن على ابن إسماعيل) : «المحكم فى اللغة» – المطبعة الأميرية بالقاهرة. «المخصص» ١٧ جزءا – بولاق – ١٣٢١/١٣١٦هـ.

٢٠– ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم – ٢٧٦/٢١٣هـ) : «المعارف» – ط٢ – نشر دار المعارف. «الذخائر ٤٤» سنة ١٩٦٩م. «تأويل مشكل القرآن» القاهرة ١٣٧٣هـ.

٢١– ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) : «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» – ٣ أجزاء – القاهرة ١٢٩٩هـ

بهامشها كتاب الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية - تأليف طابى شكرى زاده و ٦ أجزاء طبعة محى الدين عبدالحميد - القاهرة سنة ١٩٤٨م ومجلدان - طبع بولاق سنة ١٢٧٥هـ.

٢٢- ابن شاكر الكتبى (محمد بن أحمد) : «فوات الوفيات» - طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد - جزءان - القاهرة ١٩٥١.

٢٣- ابن منظور (أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقى المصرى):
«لسان العرب» - ٢٠ جزءا - بولاق ١٣٠٢/١٣٠٧هـ.
«التنبيه والإيضاح» المعروف بحواشى ابن برى على الصحاح الأصل الخامس من أصول اللسان - نشر مطبوعات مجمع اللغة العربية - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ - تحقيق: الأستاذ/ مصطفى حجازى ومراجعة : الأستاذ/ على النجدى ناصف.

٢٤- ابن النديم : «الفهرست» - المكتبة التجارية.

٢٥- ابن مجاهد : «كتاب السبعة فى القراءات» - تحقيق : دكتور/ شوقى ضيف -نشر دار المعارف بمصر ١٩٧٢.

٢٦- ابن هشام (أبو محمد عبدالله بن يوسف الأنصارى) «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» - الطبعة الأولى - وطبعة ثانية حققه فيها وفصله وضبط غرائبه الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد - جزءان - القاهرة.

٢٧- ابن يعيش (أبو البقا) : «شرح المفصل» - الطبعة الأولى - إدارة الطباعة المنيرية.

٢٨- أبو الحسن على بن الحسن الهنائى (م ٣١٠هـ) : «المنجد فى اللغة» أقدم معجم شامل للمشترك اللفظى - تحقيق : دكتور/ أحمد مختار عمر، وضاحى عبدالباقى.

٢٩- ابن الجزرى (شمس الدين محمد بن محمد) : «النشر فى القراءات العشر» - المكتبة التجارية. «غاية النهاية فى طبقات القراء». نشر باعتناء - برحشتراسر وأوتويرتزل - مطبعة السعادة ١٩٣٥م.

٣٠- أبو حيان التوحيدى : «الامتاع والمؤانسة»، «المقابسات».

٣١- أبو بكر محمد بن الطيب (الباقلانى) : «إعجاز القرآن» - تحقيق : السيد أحمد صقر.

٣٢- أبو بكرمحمد بن الحسن (الزبيدى) : «طبقات النحويين واللغويين» - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣٣- أبو عثمان عمر بن بحر (الجاحظ) : «البيان والتبيين» - القاهرة ١٣٣٣هـ - مطبعة الجمالية بحارة الروم، وطبعة بتحقيق : الأستاذ/ عبدالسلام هارون.

٣٤- أبو منصور عبدالله بن محمد بن إسماعيل (الثعالبى) : «فقه اللغة وأسرار العربية» - طبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.

٣٥- أبو منصور موهوب بن أحمد (الجواليقى) : «المعرب من الكلام الأعجمى» - طبع دار الكتب المصرية للأستاذ أحمد محمد شاكر.

٣٦- أبو القاسم محمود (الزمخشرى) : «أساس البلاغة» - طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤١هـ.

٣٧- البيضاوى : «أنوار التنزيل وأسرار التأويل».

٣٨- القفطى : «أنباه الرواة على أنباه النحاة» - تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم - القاهرة - ١٩٥٠/١٩٥٥م.

٣٩- الزجاجى : «الأمالى» - القاهرة سنة ١٩٣٥.

٤٠- الأزهرى (محمد بن أحمد بن الأزهرى) : «تهذيب اللغة».

٤١- أحمد مختار عمر (الدكتور) : «البحث اللغوى عند الهنود وأثره على اللغويين العرب» - دار الثقافة بيروت ١٩٧٢. «البحث اللغوى عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر» - دار المعارف بمصر ١٩٧١. «تاريخ اللغة العربية فى مصر» - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. «محاضرات فى علم اللغة» - ١٩٦٨/٦٧م - مطبعة كلية التجارة - جامعة القاهرة. «أسس علم اللغة» - تأليف (ماريوباى - ترجمة دكتور/ أحمد مختار)، منشورات جامعة طرابلس - ليبيا ١٩٧٣.

٤٢- الأصمعى (عبدالملك بن قريب) : «غريب الحديث»، «رسائله فى طوائف خاصة من الألفاظ والمعانى» - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٥.

٤٣- البغدادى (عبدالقادر بن عمر البغدادى) (١٠٣٠/١٠٩٣) : «خزانة الأدب» - تحقيق وشرح : الأستاذ/ عبدالسلام محمد هارون.

٤٤- الإسكافى (محمد بن عبدالله) : «مبادئ اللغة».

٤٥- التهانوى (محمد على بن على) : «كشاف إصطلاحات الفنون».

٤٦- الزبيدى (السيد محمد مرتضى الحسينى) : «تاج العروس فى شرح القاموس» - مصر سنة ١٣٠٧هـ - المطبعة الخيرية.

٤٧- الجوهرى (إسماعيل بن حماد) : «الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية».

٤٨- الخفاجي (شهاب الدين أحمد بن محمد) : «شفاء الغليل فيما ورد فى كلام العرب من الدخيل».

٤٩- الخليل بن أحمد : «العين» - الجزء الأول حققه وقدم له الدكتور/ عبدالله درويش.

٥٠- السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن) : «الإتقان فى علوم القرآن» - مطبعة حجازى بالقاهرة، ١٩٦٨م. «المزهر فى علوم اللغة وأنواعها» -تحقيق : أحمد جاد المولى وآخرين - دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ١٩٥٨. «الاقتراح فى أصول النحو» - تحقيق : أحمد محمد قاسم - مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٩٧٦. «بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة».

٥١- العسكرى (أبو هلال» : «المعجم فى بقية الأشياء» .

٥٢- الفيروزابادى : «القاموس المحيط».

٥٣- القالى (أبو على) : «الأمالى وذيل الأمالى والنوسر».

٥٤- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) : «المقتضب» - تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة - المجلس الأعلى للفنون الإسلامية ١٩٦٨/١٩٦٣م.

٥٥- المبرد - ودراسة كتابه الكامل تأليف أبو الحسن عبدالله الخطيب.

٥٦- الأشمونى (على بن الحسين) : «شرح الأشمونى مع حاشية الصبان» - المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٥٧- البدراوى زهران (الدكتور) : «عالم اللغة» - عبدالقاهر الجرجانى المفتنن فى العربية ونحوها - دار المعارف ١٩٧٩. «فى علم اللغة التاريخى» - دراسة تطبيقيةعلى عربية العصور الوسطى - نشر دار

المعارف – سنة ١٩٧٩م. «من مصنفات الثروة اللفظية» – كتاب ألفاظ الأشباه والنظائر لعبدالرحمن بن عيسى الهمذانى – نسخة عبدالرحمن بن الأنبارى حققه وضبطه وعلق عليه وقدم له.

٥٨– البستانى (المعلم بطرس) : «محيط المحيط» – جزءان – بيروت ١٨٦٧/١٨٧٠م.

٥٩– السعيد محمد بدوى (الدكتور) : «مستويات العربية المعاصرة فى مصر» – دار المعارف سنة ١٩٧٣.

٦٠– بدوى طبانة (الدكتور) : «البيان العربى».

٦١– برجشتراسر (المستشرقى الألمانى) : «التطور النحوى للغة العربية» – سلسلة محاضرات ألقاها فى الجامعة المصرية – مطبعة السماح ١٩٢٩م. «مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لإبن خالويه» عنى بنشره ج. برجشتراسر – المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م. «غاية النهاية فى طبقات القراء» – تأليف شمس الدين محمدين محمد بن الجزرى باعتناء برجشتراسر وأوتوبرنزل – مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٥م

٦٢– بروكلمان (كارل) (المستشرق الألمانى) : «تاريخ الأدب العربى» – دار المعارف بمصر. ترجم الأجزا الأول والثانى والثالث إلى العربية الدكتور/ عبدالحليم النجار وترجم الرابع إلى العربية الدكتور/ السيد يعقوب بكر – الدكتور/ رمضان عبدالتواب، وترجم الخامس إلى العربية الدكتور/ رمضان عبدالتواب وراجع الترجمة د. السيد يعقوب بكر. وترجم السادس إلى العربية الدكتور/ السيد يعقوب بكر وراجع الترجمة الدكتور/ رمضان عبدالتواب.

٦٣- تمام حسان (الدكتور) : «اللغة العربية بين المعيارية والوصفية» - مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨. «مسالك الثقافة الإغريقية إلى العربية» - تأليف أوليرى - ترجمة وقدم له مكتبة الأنجلو المصرية. «اللغة فى المجتمع» - تأليف م.م. لويس - ترجمة الدكتور تمام مراجعة د. إبراهيم أنيس - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٥٩م. «مناهج البحث فى اللغة» - مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م.

٦٤- حسن عون (الدكتور) : «اللغة والنحو» - دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة - ط أولى سنة ١٩٥٢.

٦٥- حفنى ناصف (البك) : «الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية» - مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٦م. «تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية» - مجموعة المحاضرات التى ألقاها بالجامعة المصرية - مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٨م. «كتاب مميزات لغات العرب - وتخريج اللغات العامية عليها وفائدة علم ذلك من ذلك» قدمه إلى مؤتمر العلوم المشرقية بمدينة ديانا فى أوائل المحرم سنة (١٣٠٤هـ) - المطبعة السابقة ١٩٥٧.

٦٦- حسن ظاظا (الدكتور) : «اللسان والإنسان» - الاسكندرية - مطبعة المصرى ١٩٧١م. «كلام العرب من قضايا اللغة لعربية» ١٩٧١م.

٦٧- الحسن بن عبدالله (السيرافى) : «أخبار النحويين».

٦٨- حسين نصار (الدكتور) : «المعجم العربى نشأته وتطوره» - جزءان - مكتبة مصر. «معجم تيمور الكبير» - إعداده وتحقيقه : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٩- أحمد أمين : «ضحى الإسلام».

٧٠- أحمد تيمور (الباشا) : «السماع والقياس) - رسالة تجمع ما تفرق من أحكام السماع والقياس والشذوذ وما إليها من المباحث اللغوية النادرة في ذخائر الكتب المطبوعة والمخطوطة.

٧١- أحمد مكى الأنصارى (الدكتور) : «يونس البصرى - حياته وآثاره ومذهبه» -توزيع دار المعارف بمصر ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٧٢- يوهان فك (Johan Fuck) : «العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب»، نقله إلى العربية وحققه وفهرس له دكتور/ عبدالحليم النجار.

٧٣- جوج مونين : «تاريخ علم اللغة» - ترجمة «د. بدر الدين القاسم - دمشق - مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٢م.

٧٤- حلمى خليل (الدكتور) : «التعريف بعلم اللغة» - ترجمة كتاب "What is Lengeusticse" - تأليف دافيد كريستل - ط. أولى - الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية، ١٩٧٩م.

٧٥- زكريا إبراهيم (الدكتور) : «مشكلة البيئة» - مكتبة مصر.

٧٦- رمضان عبدالتواب (الدكتور) : «اللغات السامية»، ترجمه عن الألمانية - تخطيط عام للمستشرق الألمانى الكبير تيودور نولدكه - دار النهضة العربية بالقاهرة. «فصول فى فقه العربى» - ط. أولى - القاهرة، ١٩٧٣.

٧٧- رزق محمد على خفاجى (الدكتور) : «علم الفصاحة العربية» - نشر دار المعارف.

٧٨- شوقى ضيف الدكتور : «المدارس النحوية» - دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م. «الرد على النحاة لإبن مضاء القرطبى» - حققه وقدم له. «البلاغة تطور وتاريخ» - نشر دار المعارف.

٧٩- صبحى الصالح (الدكتور) : «دراسات فى فقه اللغة».

٨٠- عباس حسن (الأستاذ) : «اللغة والنحو بين القديم والحديث».

٨١- عبدالحميد الدواخلى، محمد القصاص (الدكتور) : «اللغة» - تأليف فندريس - ترجماه وقدما له (مطبعة لجنة البيان).

٨٢- عبدالرحمن أيوب (الدكتور) : «أصوات اللغة» - ط. أولى - ١٩٦٣ - مطبعة دار التأليف ٨ ش يعقوب بالمالية بمصر. «اللغة بين الفرد والمجتمع» - تأليف أتوجسيرسن - ترجمه بتصرف وعلق عليه - مكتبة الأنجلو المصرية. «دراسات نقدية فى النحو العربى» - الجزء الأول - مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٧.

٨٣- عثمان أمين (الدكتور) : «فى اللغة والفكر» - معهد البحث والدراسات العربية، ١٩٦٧.

٨٤- عائشة عبدالرحمن (الدكتورة بنت الشاطئ) : «لغتنا والحياة» - دار المعارف بمصر.

٨٥- عبدالصبور شاهين (الدكتور) : «القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث» - دار الكاتب العربى بالقاهرة. «دراسات لغوية»، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م. «فى التطور اللغوى» - المطبعة العالمية بالقاهرة. «فى علم اللغة العام» - مطبعة المدنى - العباسية - القاهرة. «تاريخ القرآن» - الطبعة الأولى - دار العلم - ديسمبر ١٩٦٧م.

٨٦- عبدالمجيد عابدين (الدكتور) : «المدخل إلى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية».

٨٧- عبدالسلام عبدالعزيز فهمى (الدكتور) : «تاريخ اللغات الإيرانية» - مطبعة شاتو بالفجالة، ١٩٧٢م.

٨٨- أبو عمرو الدانى (عثمان بن سعيد) : «المحكم فى نقط الصحف»، «المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل مصر».

٨٩- عبدالسميع محمد أحمد (الدكتور) : «المعاجم العربية دراسة تحليلية».

٩٠- عبدالله خورشد البهى (الدكتور) : «القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى الهجرية»، ١٩٦٧.

٩١- عبدالوهاب حمودة (الأستاذ) : «القراءات واللهجات» ط. أولى - مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

٩٢- عبده الراجحى (الدكتور) : «النحو العربى والدرس الحديث بحث فى المنهج»، ١٩٧٧م. «اللغة وعلوم المجتمع» - مطبعة دار نشر الثقافة الاسكندرية، ١٩٧٧.

٩٣- عبدالعزيز مطر (الدكتور) : «خصائص اللهجة الكويتية»، دراسة لغوية ميدانية - مطبعة الرسالة بالكويت، ١٩٦٩م. «لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة»، القاهرة، ١٩٦٧م. «لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط»، دراسة لغوية - القاهرة، ١٩٦٧م

٩٤- عبدالمنعم سيد عبدالعال : «معجم شمال المغرب - تطوان وما حولها» - دار الكاتب العربى بالقاهرة - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٩٥- عبدالعال سالم مكرم (الدكتور) : «الحجة فى القراءات السبع للإمام إبن خالويه» - دار الشروق - تحقيق وشرح :

٩٦- عبدالقاهر الجرجانى : «العوامل المائة»، «الجمل»، «المقتصد».

٩٧- عبدالقادر حسين (الدكتور) : «أثر النحاة فى البحث البلاغى» - دار نهضة مصر - الفجالة - القاهرة.

٩٨- كمال محمد بشر (الدكتور) : «دراسات فى علم اللغة - قسم أول»، «دراسات فى علم اللغة - القسم الثانى»، «علم اللغة العام - القسم الثانى - الأصوات»، «قضايا لغوية».

٩٩- محمد بن شاكر : «فوات الوفيات».

١٠٠- محمد أحمد أبو الفرج (الدكتور) : «مقدمة لدراسة فقه اللغة» - ط. أولى - بيروت، ١٩٦٦.

١٠١- محمد المبارك (الأستاذ) : «فقه اللغة وخصائص العربية»، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل فى التجديد والتوليد - دار الفكر - بيروت، ١٩٦٨م.

١٠٢- محمود السعران (الدكتور) : «اللغة والمجتمع - رأى ومنهج» - المطبعة الأهلية - بنغازى - ليبيا - سنة ١٩٥٨ - توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية.

١٠٣- محمد عبدالحميد سعد (الدكتور) : «قضايا التركيب فى لغة العرب مع التسلسل التاريخى للمصطلح والمقارنة ببعض اللغات الأخرى - ط. أولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٠٤- محمد عيد (الدكتور) : «الملكة اللسانية فى نظر ابن خلدون» - عالم الكتب - القاهرة، ١٩٧٩م.

١٠٥- محمود فهمى حجازى (الدكتور) : «علم اللغة العربية - مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية» - وكالة

المطبوعات – الكويت، ١٩٧٣م. «علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة» – المكتبة الثقافية – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م. «مدخل إلى علم اللغة العربية» – دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٧٨م.

١٠٦– مصطفى مندور (الدكتور) : «اللغة بين العقل والمغامرة» – منشأة المعارف بالأسكندرية، ١٩٧٤م.

١٠٧– مصطفى ناصف (الدكتور) : «النظم فى دلائل الإعجاز» – حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس – ١٩٥٥ – المجلد الثالث.

١٠٨– محمد عبدالجواد (الأستاذ) : «فقه اللغة – التذكرة هامش» – دار الفكر العربى.

١٠٩– مهدى المخزومى (الدكتور) : «مدرسة الكوفة ومنهجها فى اللغة والنحو».

١١٠– لبيب السعيد (الدكتور) : «الجمع الصوتى الأول للقرآن – أو المصحف المرتل»، عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته – دار المعارف.

١١١– ياقوت الحمى (شهاب الدين أبو عبدالله الرومى – ٦٢٦هـ) : «معجم الأدباء» – طبعة فريد رفاعي – ٢٠ جزءا – القاهرة، ١٩٣٦م. «معجم البلدان»، ليبزج – ١٨٧٠ – وطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٢هـ.

الــدوريـــات

١ - البحوث والمحاضرات مؤتمر الدورة الثلاثين ١٩٦٣/١٩٦٤ لمجمع اللغة العربية - القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

٢ - المورد - الجمهورية العراقية - المجلد السادس - العدد الثانى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣ - كتاب فى أصول اللغة.
مجموعة القرارات التى أصدرها المجمع من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين فى أقيسة اللغة وفى أوضاعها العامة وفى الألفاظ والأساليب معلقاً عليها مقرونة بما قدم فى شأنها من بحوث ومذكرات - القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م أخرجها وضبطها وعلق عليها : محمد خلف الله أحمد، ومحمد شوقى أمين.

٤ - كتاب فى أصول اللغة - الجزء الثانى - (مجمع اللغة العربية) ويشمل أعمال لجنة الأصول والقرارات التى أصدرها المجمع بناء عليها فى أصول اللغة وأوضاعها العامة - معلقاً عليها مقرونة بما قدم فى شأنها من بحوث ومذكرات وذلك فى الدورات السبع : من الخامسة والثلاثين إلى الحادية والأربعين - أخرجها وضبطها وعلق عليها محمد شوقى أمين - مصطفى حجازى.

٥ - كتاب الألفاظ والأساليب (مجمع اللغة العربية) ما نظرت فيه لجنة الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب وعرض على مجلس المجمع ومؤتمره من الدورة الخامسة والثلاثين إلى الدورة الحادية والأربعين - أعد المادة وعلق عليها : محمد شوقى أمين - مصطفى حجازى.

٦ – مجلة كلية الآداب – جامعة فؤاد الأول م٢ – حـ١ – مايو ١٩٣٤،
نظريات الإسلاميين فى الكلمة The Logos للأستاذ/ أبى العلاء العفيفى.
– مجلة كلية الآداب – جامعة فؤاد الأول – العدد ٩ – م٢ ديسمبر ١٩٤٧ – اللغة الفارسية فى الهند – د. عبد الوهاب عزام.
– مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول م١٢ – جـ ١ مايو ١٩٥٠م
بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب. د. السيدمحمد يوسف الهندى.
– مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول م١٣ ح١ مايو ١٩٥١.
تحقيق بعض الألفاظ الهندية المعربة والدخيلة فى اللغات الأوروبية .د. محمد يوسف.
– مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول م١٥ ح١ مايو ١٩٥٣
علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى – د. السيد محمد يوسف.
– مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول م١٠ ح١ مايو ١٩٤٨
* بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى – د.أ.د. أنوليتمان.
* فى قراءات القرآن – د. عبدالحليم النجار.
وفى المجلد العاشر الجزء الثانى – ديسمبر ١٩٤٨ – تتمة لبحث أنوليتمان – السابقة.
أول من وضع النحو – الأستاذ/ إبراهيم مصطفى.
– مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول م٢١ ح١ مايو ١٩٥٩
من مباحث الهمزة العربية – د. عبدالحليم النجار.
٧ – مجلة مجمع اللغة العربية الملكى – ح١ – أكتوبر ١٩٣٤.
– مجلة مجمع اللغة العربية ح١٦ القاهرة ١٩٦٣.

٨ - حوليات كلية دار العلوم العدد الجامعى ١٩٦٩/١٩٦٨ .

- همزة الوصل - د. كمال بشر

Arabic Linguistic Thought, Its Sources And Characteristics
A.R. Ayouhl M.A.Ph. D. (london) Prof. of Linguistics.

٩ - دائرة المعارف الإسلامية :

The Encyclopaedia of Islam

١٠- صحيفة دار العلوم السنة الحادية عشرة العددان الأول والثانى يوليو - أكتوبر سنة ١٩٤٤ .

ثانياً : المراجع الأجنبية

Refrences

1) Allen. W.S. : The Linguistis Study of Language, Cambridge University Press, 1957.

2) Bloomfield Leonard : Language - Holt, Rinehart and Winston New York.

3) E. Sapir, : Language; An introduction to the Study of speech (1964).

4) Firth. J.R. : Papers in Linguistics, Oxford University Press 1957.

5) Carroll, John. B : The Study of Language, harvard University Press 1959.

6) Crystal : David & D. Davy, investigating English style (Longman 1964).

7) Crystal : David. Linguistics (Apelican original).

8) Crystal : David - What is Linguistics ? Second Edition. 1959.

9) Jleason, H.A. : An introduction to Descriptive Linguistics. Revised Edition may 1966.

10) Robins, R.H. : A short history of Linguistics Second Edition (Longman London and New York).

11) Robins, R.H. : General Linguistics an introductory Survey (Longman, Linguistics Library).

12) Roberts, Paul : English Syntax alternate edition a Programed intorduction to transformational grammar.

13) Shlauch, Margret : The gift of Tongues, Jeorge & unwin Ltd. London, 1960.

14) Pei Mario : Jlossary of Linguistic Terminology Columbia University Press New York and London.

15) Noam, chomsky : Aspects of the theory of Syntax.

16) Noam chomsky : and morris Halle : The Sound Pattern of English.

17) Ferdinan, De Saussnre : Course in general Linguistes, Translated from the French by wade Baskin, Peter own, London 1960.

18) Stephen Ullmann : Language and Style.

19) Stephen Ullmann : Semantics an introduction to the Science of meaning :

1. Bréal, Michel Essi de Semantique 4 eme edition, Paris 1908.
2. D Saussuere : Ferdinand : Course De Linguistique Général, quatrieme edition Payat 1949.

المحتـــوى

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

مباحث فقه اللغة

الفصل السابع ١٤٩

القسم الثانى

الفصل الأول ١٦١

الفصل الثانى

الفصل الثالث